



ثنائية المجون والتوبة
فجئ شعر
أبي نواس
مقارنة نفسية فنية

دكتورة

وجيهة محمد المكاوي

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسادات







المخلص:

ثنائية المجون والتوبة عند أبي نواس

دراسة نفسية فنية

دكتورة

وجيهة محمد المكاوي

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالسادات

اتسم العصر العباسي بسمة خاصة ، إذ شاع فيه الثنائيات المعيشية والسلوكية ، وبالتالي الثنائيات الفنية، فباننتقال الخلافة إلى العراق ، جدت قيم وعادات ، ووطلعوا حضارات، وتسلسل كل ذلك إلى البلاد العربية. والأدب هو الصفحة الوضّاحة التي تتعكس عليها قيم وأخلاق المجتمع، وقد برز كثير من الشعراء في تلك الآونة ، ومن الشعراء المشهورين في تلك الآونة:

أبو نواس وقد تجاذب أبا نواس تياران: المجون وتبعاته (شرب الخمر - الاستهانة بالمقدسات - المجاهرة بالمعاصي) ، ثم تيار التوبة بتوابعها من (إدراك عظم الذنب - الإحجام عن العودة - ملازمة الاستغفار).

وهذه الثنائيات التي تبدت في إبداعه ترجع الى نشأته الأولى ، ثم صدر شبابه ، ففي نشأته الأولى عد ليكون معلماً؛ إذ حصّل العلم من رواد عصره، ولكن في صدر شبابه أُحيط بثلة منفلة (الخاركي - وألبة بن الحباب) فتلقاه واغرياه بالانغماس في الميزاتفالتهمته.



وقد كان إبداعه مواكبًا لصدقه الفني ، إذا انغمس في المجون، فكان شعره صِدًّا لحياته المجاهرة المنفلتة من الضوابط ، فإذا عاد وآب لازمه إبداعه.. باكيًا على ما فرط منه.

وقد جمع إبداعه بين الارتداد للماضي، والامتداد للمستقبل، بوجود تراكيب وألفاظ وموسيقى أكثر مناسبة للعصر الذي يعيشه .

وهذا التذبذب بين الثنائيتين كان وراء تباين آراء النقاد فيه ما بين مقبل على إبداعه ، ومعارض محجم عنه.

الكلمات المفتاحية: ثنائية المجون - التوبة - أبي نواس - دراسة نفسية

فنية



Summary:

**The double-mindedness and repentance of Abu
Nawas**

Dr.

Wajeha Mohammed Al-Makawi

Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Sadat

Psychological study

The Abbasid era was characterized by a special feature, in which the living and behavioral biases were common, and consequently the artistic duality. By moving the caliphate to Iraq, the values and customs were found, and civilizations were witnessed and all of these infiltrated the Arab countries.

And literature is the page lightness reflected by the values and ethics of society, has emerged many poets at that time, and poets famous at that time:

Abu Nawas. Abu Nawas has been attracted by two trends: the madness and its consequences (drinking alcohol - insulting the sanctities - manifesting sins), and then the stream of repentance with its apprehensions of "the realization of the bone of guilt - the reluctance to return - the inherent forgiveness".

These duality, which appeared in his creativity due to its inception, and then issued youth, in its first to be back to be a teacher; the science of the pioneers of his time, but in the youth of the infamous surrounded by a few



(Alkharki - and Alba bin Habab) Vtfvh and tempt him indulging in pleasuresThalthm.

His creativity was in keeping with his artistic truth, if he indulged in madness, his hair was the echo of his life, the outburst of uncontrolled controls. If he returned, the father needed his creativity.

His creativity combined the recoil of the past, and the extension of the future, with structures, words and music more appropriate to the age in which he lives.

This oscillation between the two was the difference between the views of the critics between the future of his creativity, and exhibitions reluctant.



المقدمة

ينطوي العصر العباسي على كثير من الثنائيات ذات التقابلية في المنزع والتوجه في الناحيتين الدينية والسلوكية، فنجد الوفاء يقابل الغدر، والأمانة تقابل الخيانة، والتهويل يقابل التهوين، والإفراط يقابل التقريط، وهذه المتناقضات يرجع معظمها إلى انتماء أفرادها إلى جنسيات مختلفة، فسقوط ملك ونهوض آخر استصعبه المؤامرات، والتذبذب في الولاء بين النجم الأقل والنجم الطالع، يقول ابن سيارالنيسابوري^(١) صارحاً مستغنياً :

أرى خلل الرماد وميض جمر **ويوشك أن يكون له ضرام**
وما أدري، ولست أخال أدري **أليقظ أمية أم نيام؟!**
ففري عن رحالك ثم تولي **على الإسلام والعرب السلام**

كما أن القلاقل أو المؤامرات في بيت الملك كان يقابلها تشعب، وتشتت وتناحر بين مختلف الأعراق والطوائف : الفرس والعرب، القحطانيين والعدنانيين لأسباب متباينة . إما اختلاف على الحاكم، وإما على سياسة الحكم (فرض ضرائب - عيشة مترفة للطبقة الحاكمة - تفاوت المعاش بين الناس).

وربما تمرد أناس منهم على سطوة المألوف؛ لعدم حصولهم على حقوقهم فضلاً عن إحساسهم بالغبن، فينعكس هذا الحس بالسلب على

^١ شاعر من أصل سبي فارس، اشتهر بشعوبيته وشدة بغضه للعرب، يفتخر بهم في شعره على العرب، لما أفضت الخلافة إلى عبد الملك بن مروان وفد إليه مع عروة بن الزبير، ومدحه ومدح الخلفاء من بنيهِ، وعمر طويلاً.



الحياة ونمطها؛ وتكون المحصلة السلبية متمثلة في وجود فئة رافضة للأوضاع ومستاءة منها.

ونتيجة لذلك بدت ظواهر عديدة ومتنوعة : سياسية ، فكرية، واجتماعية : كشيوع التفلت والانغماس في الشهوات ، أو الزهد وسيطرة حس التوبة والندم ، والتناقض بين المجون والتوبة ، أو الانغماس في الملذات والانسلاخ والإحجام عنها

وكانت هناك دوافع (عامة - وخاصة) تكافقت على ظهور بعض الشخصيات التي اتسمت بسلوكيات هي موضع النقد الاجتماعي ، خاصة في بيئة إسلامية، ومن هذه الشخصيات : أبو نواس الذي وجد في القرن الثاني الهجري، ورتع في الملذات، وانغمس في المتع ، ثم آب تائبًا نادماً على ما فرط منه .

والبحث يعرض أسباب اندفاعه للمجون، ومظاهره ، ثم أسباب ركونه للتوبة ، وكيف أثر هذان المساران المتضادان في تجربته الشعرية ، حدةً وليناً ، كما يطرح البحث إشكالية الإفراط والتفريط، أو التذبذب بين ثنائية" المجون والتوبة " هل كان وراءها عامل نفسي أو اجتماعي ، وهل تبدت في المنجز الأدبي؟ أو أفلح الشاعر في إخفائه ؟ أصوب ما ذهب إليه بعضهم أن العمل الفني ليس " وثيقة حياة " إن كان ذلك ، فهذا لا ينطبق على إبداع أبي نواس؛ لأن أعماله كلها انعكاس لحياته ، فما كان انغماسه في الخمر وتحلل ذاته فيه إلا ليواري سوءة أحس بها، وهي نقیصة وضعه الاجتماعي.

أما سبب اختياري أبا نواس مادة للبحث ؛فذلك لما اختص به من صفات وسلوكيات جعلته ينجح في إخفاء جزء كبير من صفاته الشخصية، فلم تتسرب إلى إبداعه ، مما يدل على قدرته على تحية حسه الشخصي ،



وشعوره الذاتى في أثناء إبداعه ، ومثّل الموقف الذي هو بصدده أصدق تمثيل دون أن نجد بين السطور مردودًا يوشي بحزن دفين أو ألم سحيق يكابده ، وقد عايش سمات الأداء في القرن الثانى الهجري ، فكانت تعبيراته المتمثلة في ألفاظه وسياقاته ودلالاته ونظمه منتمية لعصره ، وقد جاءت كاشفة عنه ومرآة له، ومتكئة علي مذخور ثقافي رصين ، أكسبه شهرة واسعة ، وقد تعرض لأزمة حادة غيرت مسار حياته واهتماماته ونهج إبداعه، وقد واكب إبداعه حالته الشعورية ، وحسه الآني ، فكل إبداع من إبداعه يقف وراءه تجربة خضع لها، وانطلق لسانه ينفث ما قر في صدره في تلك اللحظة ، وقد تجلى كل ذلك في تجربته الشعرية مما وسمها بالصدق في حالتيه : الماجنة والتائبة .

- وثمة دراسات متعددة حول الشعر في العصر العباسي ، منها ما ضمت لمحات تشير لإبداعه بشكل عام ، مع نظائره من الشعراء ، مثل:-
- اتجاهات النقد العربي القديم للشعر: حسن أحمد البنداري - رسالة دكتوراه ١٩٨٥، إشراف - د محمود الربيعي ، دار العلوم.
 - الوصف في الشعر العباسي إلى دخول السلاجقة بغداد ، أحمد أمين مصطفى ، رسالة ماجستير، إشراف د أحمد الحوفي ١٩٦٨.
 - التطور الفني في شكل القصيدة وموضوعاتها فى القرن الثانى الهجري - أحلام الزعيم - رسالة ماجستير، عين شمس ١٩٧٧.
- ومنها ما كان وقفًا على شخصيته ونفسيته ، مثل : الحسن بن هانى؛ عباس محمود العقاد ، نفسية أبي نواس د محمد النويهي ، ودراسة نفسية عن أبي نواس بعنوان : النواسي بين أوديبته ونرجسيته للدكتور محمد طه عصر ، أوضح فيها الدوافع وراء مسلكه ماجناً ثم تائبًا. وهذه



الأعمال على الرغم من بكارتها ، وشمولها؛ لم تركز على جانبي المجون والتوبة؛ موضوع البحث، وعلى نحو يجلى تفاوت إبداع الشاعر في هذين الجانبين، على أن هناك شيئاً لافتاً يجب ذكره ، وهو أن هؤلاء الذين كتبوا عن أبي نواس راعوا بلورية الإبداع لديه ، فإبداعه متعدد الزوايا متباين الرؤى، ولكن زاويتي المجون والتوبة شكلتا الجانبين في إبداعه الذي طغى على الجوانب الباقية، ولقد آثرت الكتابة عنه؛ لأن ما اشتهر به كان المجون لا الزهد على الرغم من إطراد القدامى على جانبه الديني " وكان إذا تحامل عليه بعض القوم يقول " والله ما أدين غير الإسلام ، ولكن ربما نزا بي المجون حتى أتناول العظام" (١) هذا وينبغي أن نميز بين حقوق الفن ، وحقوق الدين " فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يحى اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات" (٢) فقد عمل أبو نواس على إظهار براعته الشعرية ، فجارى القدامى فى نهجهم النظمي ، فوقف على الأطلال، وشبب بالمرأة ، ووصف الناقة ، ثم دلف إلى غرضه، أعانه مذخور لُعوي ثري " ما أحد أعلم باللغة من أبي نواس " (٣) فعبارة أبي نواس دالة على أن المجون عليه دخيل

^١ طبقات الشعراء لابن المعتز، ٢٠١، ط دار المعارف ١٩٦٨م هذا الكلام غير موجود في طبقات الشعراء لابن المعتز وإنما هو منقول من أخبار أبي نواس لأبي هفان المهزمي ص ٥ ونقل عنه شوقي ضيف هذا الكلام في كتابه تاريخ الأدب العربي ٢٢٧/٣. أرجو مراجعته.

^٢ الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجاني ٥٨- ط٣ الحلبي ب ت م.

^٣ ثورة الخمریات ثورة الزهديات، محمد الصادق عفيفي ص ٣٩ دار الفكر ١٩٧١.



وليس أصيلاً ، وأنه يترنح بين النزعتين ، فالإبداع هو مناط الحكم لا تعلق أبي نواس بإحدى الثنائيتين؛ ذلك أنه تشبع بمتطلبات العصر، وانضوى تحت احتياجاته وما شاع فيه من نهج أداء، وطرائق تعبير، ولعل التصل من ضوابط المجتمع ، فضلاً على أن النفس المتطلعة إلى التحرر من متابعته هما ما دفعاه إلى المجون ، وقد حدث ذلك قديماً مع طرفة بن العبد مع اختلاف أداء الفكرة فقد كان رد طرفة ردًا فلسفيًا غلبت عليه التقديرية ، والإخبار ، بينما كان نواس يلامس الفكر السائد

- (اللوم - إغراء - دواء - داء) ثنائيات ملتوية تأخذ شكل المباشرة، فالممنوع مرغوب، والمتعاح محبوب ، وكيف والخمر جمعت بين الاثنين فهي ممنوعة دينيًا متاحة واقعا اجتماعيًا ، وقد تكون هناك مشكلة التعلق بالشيء فيكون حلها حيازته ، وهي فكرة صاغها قبله المجنون حين قال:

تداويت من ليلي بليلى وحبها كما يتداوى شارب الخمر بالخمر^(١)

فقد نهج أبو نواس نهجه، ولكنه لم يحصل بغيته فأب مرتدًا إلى الصواب، أما

المنهج الذي اتبعته فهو المنهج التكاملي، ومن خلاله استعنت بعدة مناهج...منها المنهج الاجتماعي ؛ وذلك في رصد معالم حياته الاجتماعية إذ لم يك في مجونه من نبلاء زمانه ليلفت الأنظار إلى ثقته بعد تميزه الإبداعي- التي شغفت به بعد طلاقة تميزه الإبداعي ، كما أن توبته كانت

^١ديوان مجنون ليلي ٣٩٦.



ارتداداً لتعليمه الأول الذي كان يؤمله ليكون محدثاً عالمًا هذا إضافة إلى المنهج النفسي : وذلك لبيان طبيعته النفسية التي جعلته قابلاً لتلقف أي شيء فتلقفته يد وفكر "الخاركي" ثم "اللبة بن الحباب" فانصاع ملبيًا ، ثم مذبذبًا بين الامتداد في الملذات والتقلت ؛ والارتداد لتنتشئته في محيط فرض فيه سياج الالتزام والانضباط ، ومنها المنهج الفني .. وقد اتكأت عليه في فهم مقطوعاته الشعرية، وتجليه قدرته في اختيار ألفاظه، وبراعته في استحضار الصورة المنشودة.

ومجمل القول أن إبداع أبي نواس يحاكي مجتمعه أولاً، ثم يمثل ذاته بعدئذ، وهي ذات مزحزحة عن الطريق القويم ، وهو قبل هذا كله يجسد شعوره وهو آيب إلى الصراط المستقيم.

والنتيجة التي انتهى إليها الشاعر .. هي صفاء نفس المؤمن ، وإيابها، مهما اعتراها من عكار، وجيدة عن طريق الحق ، فلا بد لها من الإياب والرجوع إلى المحجة البيضاء .



مصطلحات البحث

ثنائية المجون والتوبة

١ - **المجون**: مقارفة المحرمات وتعاطيها والمباهاة بارتكابها وتزيينها للمتلقين وجذبهم نحوها من خلال بديع القول ومنسق النظم. وقد بدت مظاهره أكثر ما بدت في شرب الخمر، والغزل بالمذكر، الغزل الصريح .. وكل ذلك كان عنه منهياً.

تأرجح سلوك أبي نواس ما بين المجون والتوبة شكل الثنائية ذات التقابلية تلك التي مثلت حجر الزاوية في إبداعه، وحيث تخلل هذه الثنائية ومضات إبداعية أخرى، فقد يصف معجباً بالطبيعة، أو مادحاً، أو قادحاً، لكن غزارة إبداعه توجهت أولاً نحو أو صوب المجون، مثل رصد الملمات، ومقارفتها، وتجديدها، والإقبال عليها ثم الدعوة إليها وتزيينها. والمجون هو الخروج عن ضوابط المجتمع ومعاييره، والانطلاق وراء شهوات النفس ورغباتها، وإعلان ذلك والاشتهار به

على الناظر المتأمل في شيوخ هذه الظاهرة في المجتمع العباسي بغية ردها إلى أصولها يرى أنها ترجع إلى الترف الشديد، والفراغ المفسد، وغزو عادات وتقاليد أجنبية للمجتمع العربي، ومزاحمة ثقافات وافدة: هندية، يونانية، فارسية، وغيرها، للثقافة العربية السائدة، إضافة إلى وجود شخصيات مبدعة ملأت النهج القديم في الإبداع، ورنّت إلي إبتداع نهج مستحدث يتوافق مع مستجدات العصر، ومتغيرات الحياة، وقبل هذا وبعده ظهور أجيال المولدين والموالي وكثرتهم، وانتشار حانات الخمر.



وهو ما يتوافق مع نهج ماني إن " أتباع ماني فر بعضهم في القرن الرابع الميلادي إلى بلاد الترك ، وما زالوا هناك إلى أن فتح العرب فارس فعادوا إلى إيران وظهروا في عهد الدولة الأموية بالعراق وبالكوفة خاصة" (١) وبعد أن انتشرت ملتهم في الكوفة ، تسربت إلى باقي الأمصار، ثم عم الإقبال عليها في بغداد لتوافر البيئة الحاضنة لها، وكان هناك طائفة متقلبة من الضوابط الاجتماعية في البصرة يعيشون كيفما اتفق أطلق عليهم مصطلح "البوهيميين" يقول د/ العربي درويش: " أما في جيل أبي نواس فلم يكن قد وفد منهم على جيرة البصرة غير طلائع متفرقة، يقطع بعضها الطريق في البادية وينزل بعضهم إلى جوار الأرباض المتطرفة ويجرون على عاداتهم التي تلخصها كما أسلفنا - كلمتان : التشرذم والتحلل من عرف المجتمع وآداب الحضارة ، وكانت الفئة التي اشتهرت باسم الشطار بعض طلائع هؤلاء الأخلاط ، وهم المثل المقتدى به عند أبي نواس كما جاء في مجونه وخمرياته^(٢)، ونظرًا لطغيان العنصر الفارسي وتغلغله في الحياة السياسية والاجتماعية؛ فقد سيّد عاداته وتقاليده ومنها: معاقرة الخمر إذ كانت مشروبهم في الأعياد التي شارك في احتفالاتها العرب فأقبلوا عليها يحتسونها يقول أبو نواس :

ولرام فضل على الأيام

اسقنا إن يومنا يوم رام

^١ الوصف في الشعر العباسي إلى دخول السلاجقة بغداد أحمد أمين مصطفى ، رسالة ماجستير، إشراف د أحمد الحوفى ١٩٦٨ دار العلوم ص٢١٦
^٢ أبو نواس وقضية الحداثة د العربي حسن درويش الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ ص١٠٥



من شراب ألد من نظر المشوق في وجه عاشق مستهام^(١)

هذا ويعد يوم الحادي والعشرين من كل شهر - من شهور الفرس - يوم " رام " إذ يحتفلون به ، وكان العرب يشاركونهم أعيادهم ، كعيد النيروز ، والمهرجان ، ومما ساعد على انتشار معاقرة الخمر؛ ما احتقبتة الذاكرة الإبداعية القديمة من إرث ثقافي.

فقد شبَّ المبدعون وهم يرددون أشعارًا على مرّ العصور تزين الخمر، متوهمين أنها تساعد على مكارم الأخلاق، كقول عمرو بن كلثوم :

تري اللخرُ الشحيح إذا أمرت عليه لاله فيها مهيناً^(٢)

ويقول حسان : **ونشربها فتركنا ملوكاً وأسدأ ما ينهنهنا اللقاء^(٣)**

أضف إلى ذلك حرية الأديان التي كفلها الإسلام، وبخاصة التي تتوسع في تطبيق توابعها الحكام ، فقد غضوا الطرف عن شرب اليهود والنصارى للخمر ، بللم يعترضوا على شربها وتقديمها للشاربين في مجالسهم، " فالمهدى كان محباً للفن وحياة المتعة وكانت تقدم في مجلسه، وعطّل الهادي حد الشاربين ، واليهود والنصارى أطباء الخلفاء كانوا يعاقرونها لسماح ديانتهم بذلك " ففي المسيحية يكون شرب الخمر جزءاً

(١) الديوان ص ٣٢٥

(٢) شرح القصائد العشر ص ١٨ ٢

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب ج ٤ ص ١٢٨



أساساً من العشاء الرباني أو القربان المقدس " أما لدى العبرانيين فإن كأس البركة يوازي خمر العشاء الرباني لدى المسيحيين ^(١)

وعليه فإن هذا المناخ المناسب كان من آثاره السلبية رفع التحرج في معاقرتها ، وقد "أفتى أبو حنيفة بأن المسلم إذا أترف خمره المسيحي يُعزَم ثمنها؛ ولذا تركت لهم حاناتهم وخمورهم ، وهناك من أسلم منهم ، وظل يتاجر فيها تحت سمع الدولة وبصرها ، فشاعت وانتشرت ، واستند المٌحلون لحديث السيدة عائشة ^٢ رضی الله عنها أنها قالت " كنا ننتبذ لرسول الله في مسقاه ، فيأخذ قبضة من تمر وقبضة من زبيب ، فيطرحها فيه ثم يصب عليه الماء ، فينتبذه غدوة فيشربه عشية ، وينتبذه عشية ، فيشربه غدوة " فعلم أنه قبل الاشتداد ، ورووا أن ابن عباس وعمراً أحلا النبيذ " فعن ابن زياد: سقاني ابن عمر - رضی الله عنه - شربة ماكدت أهتدى إلى أهلى " ^(٣) وتحدث ابن المعتز في فائدة النبيذ فقال : " وقد قلنا وقال الناس من قبلنا :

^١ الوصف في الشعر العباسي إلى دخول السلاجقة بغداد احمد أمين مصطفى ، بتصرف
^٢ أخرجه ابو يوسف في الآثار : (ص: ٢٦٦ ح ١٠٠١) قال حدثنا يوسف عن أبيه عن أبي حنيفة ، عن أبي اسحاق ، عن عقبة بن زياد ، قال: سقاني ابن عمر رضی الله عنهما شربت شربة فما كدت أهتدى إلى أهلى ، فرجعت اليه من الغد ، فذكرت له ذلك فقال : " وما زدناك على عجو زبيب " الكتاب : الآثار ، المؤلف ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري " المتوفى ١٨٢ هـ " المحقق ابو الوفا ، الناشر دار الكتب العلمية بيروت ، عدد الأجزاء ١ .

^٣ فتح القدير ، محمد بن عبد الواحد السيواسي ، كتاب الأشربة ج ١٠ ، ص ١١١ .



إن النبيذ يسخن المعدة والكبد ويهضم الطعام ويدر البول ويلين البطن ، وأن له مع هذه الخصال مسرة النفس وإطرابها " وهكذا كانوا يعتقدون في النبيذ^(١) وقد تفشت هذه الأفكار في المجتمع العباسي ، فشاع وعم شرب النبيذ، أسكر أم لم يسكر " ^(٢) وقد أقبل بعض الخلفاء على معاقرة الخمر والسماح بتناولها في مجلسه وقد شكر أبو نواس للخليفة الأمين صنيعه ذلك فقال :

فليس بقائل لك إيه دعني ولا مستخبر لك ما تشاء

ولكن سقنى ويقول أيضاً عليك الصّرف إن أمياك ماء

إذا ما أدركته الظهر صلى ولا عصر عليه ولا عشاء^(٣)

ومع شيوع الخمر وانتشارها صارت صناعة لها ضوابط وعمال وأقيمت الحانات علنية ظاهرة . وصار الشعراء يتغنون - نتيجة للتطور العقلي الحادث في العصر - بأصل الكرمة ، ثم ينعها ، فحصادها ، ثم عصرها،

^١ الوصف في الشعر العباسي، ص ٢١٦- وهي قضية أشار إليها أبو العلاء في شعره ساخرًا حيث قال :

وقال العراقي: النبيذ مباحة وقالوا حرامان المدامة والسكر

- المدامة : الخمر وكل ما يسكر محرم كالنبيذ - أي أن أبا حنيفة العراقي يبيح النبيذ ، أما مالك والشافعي فيذهبان إلى أن كل ما أسكر حرام - المرجع السابق بتصرف-

^٢ المرجع السابق ص ٢١٦ - ٢١٧ بتصرف

^٣ الديوان ص ٢٤٢



ثم تخبئتها في الدن^(١)، ثم اليد التي تسقي ويشيرون لمختلف المراحل حتى ينتهوا إلى حدة أثرها وعنف تأثيرها.

٢- التوبة :-

تدور الدلالة العامة لمادة التوبة حول عدة معانٍ في معاجمنا اللغوية ما يهمننا فيما نحن بصده أن التوبة: الرجوع عما كان مذمومًا في الشرع إلى ما هو محمود فيه^(٢).

هذا ويعدُّ شعر التوبة إحدى المراحل الانتقالية بين المجون والزهد، وغالبًا ما يصدر عن شعراء كثرت أشعارهم في الخمر والغزل الماجن، وشاع عنهم التهتك والانحراف والشذوذ، لكن سرعان ما أفاقوا من غفلتهم، فأبوا إلى دوحة الإيمان، وعادوا إلى الفطرة السليمة، وأجابوا داعي الله بالتوبة والإنابة، معلنين ذلك في أشعارهم.

ومما لاشك فيه أن تلك الطائفة من الشعراء عندما يتوبون توبة يتولد عندهم شعور مضاد بحقارة وخسة ما فعلوه وإطاحته بكيانهم الروحاني وإضاعته لنزعاتهم الإنسانية، ومن ثم يتولد عندهم تفرغ النفس وزجرها، فيستمسكون بالتوبة التي تبرز في نفوسهم وتتمكن من أقوالهم وعقولهم.

وحيث يستفحل الإحساس بالذنب، ويعظم شعور المرء بجهالة أفعال الماضي، ويسرع بإقراره بالذنب، وطمعه في عفو الخالق عز وجل، وصفحه عن جميع ما اقترفه من آثام، نرى أن هذا الإحساس العام يتنامى

^١ - إناء غير مستوى القاعدة لابد أن يحفر له -

(٢) الرسالة القشيرية في علم التصوف ص ١٦٤.



مصطحبًا المذنبين التائبين وها هو ذا أبو نواس يقر نادما بكثرة ذنوبه،
وعدم قدرته على أى شيء سوى دعاء ربه والتوسل إليه ورجاء العفو منه،
يقول (١)

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ

أَدْعُوكَ رَبُّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا فَبِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسَلِّمٌ

وللتائب حسرة ، على ما ضاع من عمره في إتيان الهوى والآثام، وأنين
خاص ينفطر له قلبه وينصدع له فؤاده، لذا فهو دائما يتعجل التوبة،
ويعجب من تمادى نفسه في الذنوب، واغترارها بالأمال الواهية بالرغم من
تيقنها من أن كل صفو مآله الكدر، وجميع ما في الحياة إلى شتات، وأن
الموت مأل محتم على الجميع.

(١) ديوان أبي نواس ص ٦١٨، وزهديات أبي نواس لأحمد الزبيدي ص ٦٩، ٧٠.



التمهيد

أبونواس

هو: الحسن بن هانئ بن عبد الله بن الصباح الحكمي المذحجي ، من أب عربي وأم من الأهواز ولد في مدينة الأهواز ، سنة ١٣٦ كان متذبذب الولاء بين بني الحكم ، والعجم ، واليمن ، والعرب، وقيل: سمي نفسه " أبا نواس " نسبة إلى جبل " نواس " باليمن فهو يمني الولاء ، أو سبب الكنية ما اشتهر أن رجلاً من البصرة رآه يعدو وذؤابته تنوس أي: تتحرك، ونشأته كانت تبشر بميلاد عالم حديث لكن مساره حاد عن هذا الاتجاه، واللافت أنه قد امتلك قوة حافظه، وقريحة متقدة سمحت له بمجالسة العلماء بما امتلكه من قوامة؛ إذ أتقن الفصاحة واللغة عن العرب الخُص من بني سعد، بعد أن أقام فيهم عامًا، ثم أخذ العلوم من أصحابها ؛ فقد أخذ عن خلف الأحمر الشعر ومعانيه وحزن حزنًا شديدًا لموته وقال رائيًا له " أودى العلم مذُ أودى خلف (...) وطالع نحو سيبويه، والألفاظ عن أبي زيد، واتسعت روايته للأدب وجد في طلب الحديث، وامتلك مخزوناً لغوياً ثرياً؛ أعانه على الإبداع؛ ووسم عمله بالتميز؛ وقد فسر تلك الخاصية حين قال : (ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما بالك بالرجال)^(١).

شغل الشاعر الدنيا ربحاً من الزمن ؛ وفي تلك الفترة؛ ماجت الحياة السياسية، والاجتماعية، في العصر العباسي، بمتغيرات جذرية، استتبع وجود ظواهر عدة طرأت على المجتمع العباسي من: المجون - الزندقة - الشعوبية - الزهد وغيرها، وسمت المجتمع بسمتها وتبدى هذا الوسم في



أفرادها. لكنى سأشير في عجالة لتلك المؤثرات الأربعة إذ إنها لا تعدو أن تكن سوى وثيقة الصلة بمنجزات الشاعر الأدبية ، ومدقق النظر في ثقافة الشاعر يلمس بجلاء أنها إما مكتسبة من رزاز الثقافات الشائعة : ثقافة فارسية ، يونانية ، رومانية وذلك بعامل التفاعل والتأثر..، وإما ثقافة طبيعية لعبت الوراثة فيها دورًا بالغ الأهمية في تشكيل مكوناته الفكرية، هذا فضلاً عن التفاعل والتلاحم مع الثقافات السائدة في المنتديات الأدبية على الخصوص، أو في الحياة الاجتماعية على العموم.

كان إبداعه الشعري لافتاً للأنظار إذ كان طبعي الشعر ينظم القصيدة ثم يتركها أياماً ثم يسقط منها ما يشاء ولا يستبقي إلا ما يرضيه " ولا يقبل كل ما يقذف به خاطره"^(١) وكانت نفسه في البداية سوية فأقبل على علم الحديث، ففقهه ، ثم شدت نفسه فمال إلى المجون، والغزل بالمدكر، وجاهر بالمعاصي واتهم في دينه بشعره لكنه ذب عن نفسه بقول فصل فحينما قال :

يا أحمد المرتجى في كل نائبة تم سيدى نعص جبار السماوات

"أحضره الخليفة المأمون ليقنتله وأحضر معه الفقهاء ومعارضيه من الشعراء ، ثم قال له ألسنت القائل ... البيت ؛ فقال : بلى . فقال من حضر: هذا كفر يا أمير المؤمنين ، فقال أبو نواس " إن كانوا قالوا هذا بعقولهم فما أنقصها ، وإن كانوا قالوه بأرائهم فما أجهلها ، أيكون زنديقاً مقرأً بأن للسماوات جباراً^(٢) فأطلقه المأمون اقتناعاً بأنه تطرف ،ومن ملح الشعراء

الأغاني ج ٢٩ - ٩٩٣٨

المرجع السابق ج ٢٩ - ٩٩٩٩



مبتور الدلالة بلا امتداد ، وأن ما قيل عن زندقته فرية عليه ، وأن قوله هذا ، إنما هو من ملح الشعراء ، فدلالته على الكفر مبتورة ، وقد تحدث العقاد عن نفسية أبي نواس وتداعياتها ، ووسمه بسمات نفسية من نحو: الاشتهاؤ الذاتي -لازمة التلبس - التشخيص - العرض - ومفاد هذه الصفات ، هو عشقه للظهور أيما كان نوعه. وهو ما أصاب من الزندقة . يقول العقاد⁽¹⁾: (فليس له في الزندقة مذهب غير (العرض والإظهار) بدليل واقعة نسبت إليه، فقد روي (أنه انصرف من بعض المواخير سكران فمر بمسجد قد حضرت فيه الصلاة فدخل ، فقام في الصف الأول ، فقرأ الإمام " قل يا أيها الكافرون " فقال أبو نواس : لبيك ! فلما قضيت الصلاة لبيوه وساقوه للحساب ... فأى مذهب من مذاهب الزندقة يسول لصاحبه هذا المجون ، إنما هي آفة العبث بالمخالفة ولا شيء سواه يغيره بهذا السخف الدميم " ولعل هذا يفسر قوله :

ل خالف الناس تذكر

كطالب مثلاً قبي

وإن تغنوا كبر

إن كبر الناس غنى

فهو عاشق للمخالفة ، باغى شهرة ، يرتع في صيبتها متمتعاً أكبر من متعة إذا ما اقترفها يقول :

يبعث الله الأناما

واركب الأنام حتى

ر قمرناه غلاما

فلكم نلنا بدينا

ك بباقية مدا

وشربنا يومنا ذا

¹الحسن بن هانئ دار الهلال .ب.ت.



أبدا إلا حراماً^(١)

لا نصرف في حرام

فالعقاد وهو يتحدث عن أبي نواس اتكأ على اعتقاده بعقده نرجسية تملكته، ثم أرجع كثيراً من إبداعه لذلك، بينما يرى د/ محمد النويهي أن نظرة أبي نواس للخمر شابها عدة رؤى من نحو (قدسية الخمر - التعويض النفسي بالأمومة - مرحلة شهوة الواقعة).

فقد ارتأى -النويهي في مسلك أبي نواس - أنه رأى أن الخمر تطهر الذات من التوتر إلى نشوة الحياة، وتحرره من طاقته المكبوتة، ومن هنا كان تقديسه وتعظيمه للخمر الذي دفعه للقول

من مضى قبلنا عبدناها^(٢)

لو عبد الخمر قبلنا أحد

وقد نسب إليه أن الخمر لا تشرب إلا بثمان خنزير مسروق من زانية^(٣)

قال ابن منظور في أخبار أبي نواس " كان أبو نواس حسن الوجه، رقيق اللون، أبيض، حلو الشمائل، نام الجسد، وكان في رأسه سماحة وتسفيط أي أن شعره منسدل على وجهه وقفاه - وكان أثنغ بالراء يجعلها غيناً ، وكان عينياً وفي حلقه بحة قوية لا تفارقه ، وكان يعتز بفراهة بدنه . قال أبو القشير " نظمت الشعر وأنا غلام ، وأبو نواس غلام وكنا جميعاً نضرب العود، وكنت أحسن وجهاً من أبي نواس ، وأبو نواس أطبع مني ،

^١ ولم أجد هذه الأبيات في نسخة الديوان التي اعتمد عليها وإنما في كتاب العقاد

^٢ نفسية أبي نواس د محمد النويهي بتصرف

^٣ ولم أجد هذه الأبيات في نسخة الديوان المعتمدة وإنما وجدت في كتاب العقاد



فتفاخرنا بالشعر وغيره ، ثم قلت له: إنني أجمل منك وجهًا ، فقال بل أنا أحسن منك وجهًا وأفره.(١)

ولكن لا ينسى ملاحظته وتيهه بها ، وقد جاوز الشباب كما قال من شعره

تتبه علينا أن رزقت ملاحظة فمهلاً علينا بعض تيهك يا بدر

نقد طالما كنا ملاحاً وربما صددنا وتهدنا ثم غيرنا الدهر

إضافة إلى ضفيرة مدلاة من منتصف شعره (٢)

فهذا الشكل الوسيم كان في - رأي العقاد - يخفى نفسية مضطربة وولع بالذات وعشق للعرض والمجاهرة لا شذوذاً كما شيع وانتشر، وهي أعراض نرجسية إذ إن شخصية شكلتها مؤثرات عدة دفعتها دفعا لهذا المسلك الذي صادف هوى في نفسه فلم يفارقه ، ففي شخصيته (أثر التكوين المولود ، وأثر البيت ، وأثر البيئة الاجتماعية، وأثر العصر من جانب السياسة، وجانب الثقافة ولديها تثبت العلامات التي يتشكك فيها النفسيون - على حد قول العقاد) (٣)

يتبقى لنا الحديث عن سيرة أمه ، التي كانت لها تأثير كبير في حياته ، فقد كانت (تستخدم صناعاتها في الاتجار بملابس النساء للجمع بين الغواني وطلابهن في بيتها) وهذه السمعة السيئة كانت أشهر من أن يبحث عنها باحث فهي " علي متناول اليد لا تعنت السائل عنها من قريب ، ولا

^١ المرجع السابق ٧٢

^٢ المرجع السابق ٧٣

^٣ المرجع السابق ٩٤



تلجئه إلى سر غير مكشوف ، وقد سخر منه ابّان عبد الحميد اللاحق
، حين قال :

أبو نواس بن هانى وأمه جلبان

والناس أفطن شيء إلى دقيق المعاني

وكان يحب جارية يقال لها " عنان " لكنها لفظته ، وكانت تغرى به
الغلمان والعيارين .

أبو نواس بن هانى وأمه جلبان

والنغل أفطن شيء إلى دقيق المعاني

" تريد بالنغل أبا نواس وتشير إلى امرأة كانت كما قيل تربي أولاد الزنا
وهي جلبان أم أبي نواس ، بل إن الغمز طال أباه إذ قيل عنه إنه : من
سلالة زنجية تنتمي إلى مولى من اليمن ، وكان أسود شديد السواد قال فيه
ابّان :

هانئ الجون أبوه زاده الله هوانا

مولى بين عارين لا يدري يدفع أيهما ، وكيف يدافع عن أبويه ضد ما
اشتهر عنهما .

"فليس أثقل على الفتى المغموز النسب في أبويه معًا من المفاخرات
التي تتعالى بها الأصوات من حوله ولا يسمح له فيها بصوت" (١)



ولهذا الإحساس بالموقف المجتمعي منه خرج على تقاليد المجتمع ،
وما بات حريصاً على مهادنته ، فأعجب "بالشطار" فقلدهم فترة من
الزمان في لباسهم " مصففاً شعره ، موسعاً كفه ، يجرر ذيله - على حد
قوله في مجونياته...

يجرر أذيال الفسوق ولا فخر "...

وقد حاول تحصيل كثير من المهارات ، ليلفت الأنظار ، إذ كان مولعاً
بالعرض والظهور " فتعلم العزف على العود ، ودق الدفوف لتسلك مسالك
المستمعين والقيان بين طلاب الملاهي والفنون ، وتعلم التنجيم ، وتعلم اللغة
، وتعلم الفقه ، والحديث والقراءة والتجويد ، ونظم الشعر ، وروى قصائد
الفحول ، وتعلم العطارة ، والتجارة ، والأخبار ، والأنساب ، وتردد على
معاهد الدرس ومعاهد الرقص ، والسكر ، والمجون ، وتداول هذه الأدوات
كأنما يخلع لباس دور من أدوار التمثيل ، ليلبس غيره على المسرح ، لكنه
مسرح الحياة (١)



الفصل الأول

تجربته الإبداعية بين المجون والتوبة

إذا صح أن الصورة الشعرية تجميعٌ لمخزون الشاعر الثقافي، وتشكيل مردود لما اختزنه وما وعاه قبل حالته الإبداعية، فإن حالته النفسيه وفكره المسيطر، وحسه الوجداني وجملة مؤثرات ذات محفزات قمينه بتخصيب إبداعه، فإذا كان حزينًا متشائمًا، أو سعيدًا متفائلًا، تبدى ذلك من خلال قاموسه اللغوي، وصوره الشعرية لنجد تراكمًا في طبقات بما يدل على خصوبة إبداع أبي نواس.

وجواذب أبي نواس للمجون والخلاعة شهيرة معروفة . وهناك دوافع لإعلان توبته، وخلعه الخلاعة والتهتك؛ وليس مسوح التدين والزهد، كذلك كانت هناك مظاهر دالة على الانسلاخ من المجون الضيق، والرجوع إلى مندوحة الإيمان الفسيحة .

أولاً : المجون

الماجن عند العرب: الذى يرتكب المقابح المرديّة ، والفضائح المخزية ، ولا يميّزه عدل عادل ، ولا تقريع من يقرعه، والمجن :خلط الجد بالهزل ^(١) وقد شاع الانحلال الأخلاقى في منتصف القرن الثاني الهجري وكان يمتد ثم ينحسر في مد وجزر متواليين لعوامل معروفة ومما " ساعد في اتساع هذه الموجة شيئان : ظهور مذاهب شاكّة بلبلت الأفكار ، وعلى رأسها مذهب الزنادقة والدهريين ، ثم انتشار دور القيان التى كانت

^١لسان العرب مادة مجن .



تعرضهن للبيع^(١) وما كن يشعنه من الجرأة والخلاعة وإتيان "الأعمال
المخلة بالأداب العامة والعرف والتقاليد دون تستر أو حياء^(٢) - على حد قول
د/ محمد مصطفى هدارة.

تراوحت حياة أبي نواس بين إباحية الشطار ، وإباحية الشواذ ، إضافة
إلى خصاله الذاتية، وسماته النفسية ، وكل هذا دفعه إلى زمرة المجان
والإباحيين وشذاذ العادات ، المنكبين على المتع على اختلاف أنواعها ،حتى
إنه دعا للتحلل واقتناص اللذات بقوله

بادر صبوحك ، وأنعم أيها الرجل واعص الذين بجهل في الهوى عدلوا
واخلع عذارك اضحك كل ذي طرب واعدل بنفسك فيهم أينما عدلوا
نال السرور، وخفض العيش في دعة وفاز بالطيبات الماجن الهزل^(٣)

وقد تبدى هذا المجون في عدة مظاهر يمكن تلخيصها في النقاط

التالية:

المجاهرة : أباح المجتمع العباسي كثيراً من المحاذير، الفكرية ،
والسلوكية ،وتنوع الغارقون في هذه المحاذير بين مستخف بالليل ، وسارب
بالنهار .

^١ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف ، ص ١٠٠ .

^٢ اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، ص ٢١٤ .

^٣ الديوان ص ٤٠٩ ، ولا يخفى الظلال القوي لببيت بشار

من راقب الناس مات غمًا وفاز بالطيبات الفاتك اللهج



وكان أبو نواس يباهي بأنه فارس الميدان ، وزعيم الغاوين ، إذ يسرد قصصه الخمرية بإبداع وإتقان ؛ وأعانه على ذلك أمران ، الأول : وجوده في معية المتهتكين المشهورين من أمثال " والبة بن الحباب ، مطيع بن إلياس ، حماد عجرد ، قاسم بن نقطة ، الحسين بن الضحاك ، مسلم بن الوليد وغيرهم ممن يعقدون المجالس . لهوًا وشربًا ، وعريضةً ، عاقدين مباراة في إنشاء الأشعار ورواية أشعار القدامى والمحدثين .

أما الآخر : فهو نشأته المهينة - حيث سمعة أمه ونظرة المجتمع ، فضلاً عن امتلاكه ظاهراً جميلاً وباطناً يثير علامة استقهام ؛ تمثلت كما قال - العقاد - في عدم تسويته في تركيبته النفسية والجسمية ؛ وكان ذلك من دوافع لجوئه لمهاجمة المجتمع ، فدعا للإباحية ، واتخذ من نفسه مثلاً عملياً لدعوته فكان فارس الميدان غير منازع ومن أتى بعده احتطب في حبله ، فأوغل في شرب الخمر إذ وجد فيها ضالته المنشودة ، فالشاربون مغيبون فلن يكون هناك داع للخجل من أصله ، أو حافز للمفاخرة فيكشف المستور مما جعله يترنم:

راج الشقى على الربوع يهيم والراج في راحى ، ورحت أهيم^(١)

وكان لنشئته مع صحبته الأشرار - الذين علموه شرب الخمر ، والغزل بالمذكر والتفنن في نهل الملذات - لها الغلبة على ما حصله من علوم وآداب إسلامية بداية حياته ، فبعد أن حصل من علوم الحديث والتفسير الكثير ؛ أغرى به فانسلخ عنها ، وانخرط في الموبقات ، ولا شك في أن وجعه



من فقد أبيه وسمعة أمه ، كان وراء انغماسه في المجاهرة باللذات ، والجرأة على حرمان الله ، وحدوده ، فالمعروف أن الترف مفسدة إلا من رحم ربي .

أنا والله مشتاق إلى الحيرة ، و الخمر

وأصوات النواويس على الزيرات بالفجر

ومشتاق إلى الحانا ت يوم الذبح والنحر^(١)

فاختياره لتلك المواقيت التي يجب فيها الطاعة ليعصي فيها ، دال على نفس مقلقة تسد بإرادتها طرق الهداية والرشاد ، رانية إلى الغواية والعصيان ، بل إنه نطق بذلك صراحة ، فها هو ذا يجاهر برغبته المتجاوزة للخلق والدين والأعراف الاجتماعية

حين قال : **لاح إشراق الصباح فاطرد الهم براح**

ست بالتارك لذا ت الندامى للصاح

قل لمن يبغى صلاحي بعث رشدي بطلاحي

أطيب اللذات ما كان جهازاً بافتضاح^(٢)

٢- استصحاب المغنين والمغنيات وقد لخص عيشه ولذته في

استصحاب المغنيين واحتساء الخمر والندمان يقول

ومدام ونـدام

إنما العيش سماع

فعلى الدنيا السلام

فإذا فاتك هذا

^١الديوان ص ١٦٥

^٢الديوان ص ٩٨



هذا ويرى د/ محمد مصطفى هدارة أن مقدرة أبي نواس على الوصف التفصيلي كانت تستمد جدتها من عدة روافد...، المرائي المحيطة ، والطبع المواتي، وحياة الترف التي يحيها ، والأصحاب المزينين للذات، والمعاصي، والمشجعين لكل ما ينطق فاهه (١) فحينما قال :

**لا تبك ليلى ولا تطرب إلى هند واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأساً إذ انحدرت من حلق شاربها أجدته حمراً في العين والخد
فالخمر ياقوته ، والكأس لؤلؤة من كف جارية مشوطة القد
تسبك من عينها خمراً، ومن يدها خمراً فما لك من سكرين من بد
لى ثوتان وللندمان واحدة شيء خصت به من دونهم وحدى**

خر أصحابه له سُجداً إعجاباً وانبهاراً لنظمه، مما شجعه وجراه على المضي في هذا المضمار، مصطدماً بالمجتمع المسلم المحافظ ، فلم يك " أوسكار وولد" محتاجاً لإعلان التحدي بشرب الخمر إذ إن المجتمع كان يبيحها ويتيحها ، أما في المجتمع العربي فقد تغنى أبو نواس بالخمير بشكل صادم ، فرد الفعل هذا كان يبهجه ، ويثير في نفسه نشوة المخالفة وإحساساً بالفردة ناتجاً عن المجاهرة . تلك المجاهرة لامست سمة إنسانية لديه، فهو يريد أن يشرك الناس في لذته -احتساء الخمر- ليكونوا جلساءه ويرى أنه بمجرد مجالستهم صار بينهم نسباً وكأن الخمر في مخيلته هي أقوى العلاقات وأشد الأنساب، وشركاؤه حازوا على صفات مميزة من الرفعة وبياض الوجوه والشجاعة

**والقوم إخوان صدق بينهم نسب من المودة ما يرقى له نسب
تراضعوا درة الصهباء بينهم وأوجبوا لنديم الكأس ما يجب**

^١ اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري ٥١٩ بتصرف.



لا يحفظون على السكران زلته **ولا يريبك من أخلاقهم ريب**^(١)
ويقول :

وفتية كمصايح الدجى غرر **شم الأنوف من الصيد المصايت**
صالوا على الدهر بالهو الذى وصلوا **فليس حبلمم منه بمبتوت**
عالج الزمان بأفلاك السعود لهم **وعاج يحنو عليهم عاطف الليت**
نادمتهم ترقف الأسفنت صافية **مشمولة بسبيت من حمر تكريت**^(٢)

٣- تحسين شرب الخمر: - فقد كان يتلذذ بذكرها ، وذكر كل ما علق بها ، ابتداء من زرع الكرمة ، وانتهاءً باستعراض كل مراحلها ، وهو يجاهر ويدعو الناس لرؤية مجاهرته ، ولا يمضه تقرع لائم ، ولا زجر ناصح ، وكان يمشي وفق خطواته المرسومة يقول :

ألم ترنى أبحت اللهو نفسي **ودينى وعكفت على المعاصي**
كأنى لا أعود إلى معاد **ولا أخشى هنالك من قصاص**^(٣)

و كان غمز نسبه دافعاً رئيساً لإدمانه الخمر ، إذ كان العصر مولعاً بانتساب أفراده إلى قبائلهم إضافة لأنها شراب الملوك ، كأجداده من الفرس ، منحياً الفخر بأبويه لأنهما ليسا مناط فخر. يقول مفاخرًا بأجداده:

وإذا أنادم عصبة عربية **بدرت إلى ذكر الفخار تميم**
وبنو الأاجم لا أحاذر منهم **شراً فمناطق شربهم مذموم**
وجميعهم لي حين أقعد بينهم **بتدائل وتهيب مرسوم**^(٤)

^١الديوان ص ٣٣.

^٢المرجع السابق ص ٦٨.

^٣الديوان ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

^٤المرجع السابق ص ٣٥.



وربما يرجع ذلك انتهاجاً للنهج - الذى وافق طبعاً موافياً- فالخمر شاع في الخواص والعوام ، فكانت قدمه كلما تسير تغشى مجالس الخمر ، ونظراً للعين اللاقطة ، والموهبة المتقدة ، التى وافقت دخيلة ترنو لنسيان أذى لحقها - عقدة أمه - أو تأمل في تحقيق أملاً ، خيالاً بالسكر لم تسطع تحقيقه صحواً بالإفاقة. فلم يجد اللسان بدأً من التغني بالمرائي. يقول متحدثاً عن الخمر:

اثن على الخمر بالآثامها وسمها أحسن أسمائها

لا تجعل الماء لها تاهراً ولا تسلطها على مائها^(١)

وإظهاراً لتقديسها ، وسموها ، فالملوك يسجدون لها ، وهو لا يصرح بأسمائها.

ومدامة سجد الملوك لذكرها جلّت عن التصريح بالأسماء^(٢)

ويتمادى في تهتكه ومجاهرته داعياً الناس لاعتناق مذهبه...

فإن قالوا حرام ، قل حرام ولكن اللذذة في الحرام^(٣)

فالخمرة لها عظيم التأثير عليه ، فلا يملك نفسه إزاءها ، بل يصاب بالشلل العقلي ، والهياج النفسي ويقر بذلك قائلاً :

أدر علينا ، أدر معتقة يرق منها صفيق إسلامي

كأنها والمزج يقرعها شهاب دجن يلوح تدامي^(٤)

ولعل أبا نواس يقتفى أثر " الخاركي " في ذلك ، فقد كان مجاهراً يقول أبو نواس:

^١ديوان أبي نواس ص ١٣

^٢ديوان أبي نواس ص ٧٠٤

^٣المرجع السابق ص ٣٥

^٤الديوان ٣٣٩



نعم شبابك بالخمير العتيق ، ولا تشرب كما يشرب الأعمار من ماذي

ثم يثنى بنصيحة البعد عن ذوي المصلحة المقبلين في حالة الغنى ،
المديرين في الإملاق فيقول:

صل من صفت لك في الدنيا مودته ولا تصل بإخاء حبل جذاذ

يعوذ بالله إن أصبحت ذا عدم وليس منك إذا تشري بمعتاد^(١)

وقد تأثر به ، وسمى أصحابه بمسمى الخاركي " عصابة المجان "

يقول

عصابة سوء لا يرى الدهر مثلهم وإن كنت منهم لا بريئاً ، ولا صفاً

إذا ما دنا وقت الصلاة رأيتهم يحشونها ، حتى تفوتهم سكرأ^(٢)

فهو هنا لم يرم المسؤولية عليهم أو يتصل من إدراك ذنب ما يقترفون "
وإن كنت منهم لا بريئاً" لكنه يعترف أنه يقترف آثامه في صحبة تفعل بهم
الخمير أفاعيلها .

وإذ أنادم عصابة عربية بدرت إلى ذكر الفخار تميم

وبنو الأعاجم لا أهاذر منهم سراً فمنطق شربهم مذموم^(٣)

فقد تميز أبو نواس في حديثه عن الخمر وتأثيرها ، وقوتها ، على أجسام
الشاربين وعلى عقولهم . وظهر ذلك في قوله :-

جفا الماء عنها في المزاج لأنها خيال لها بين العظام ديب

فقد جعلها خيالاً ثم أوضح أنها تدب في العظام في صورتين متلاحقتين

نتجتا عن جف الماء ، وأوضح أن ذلك تم في المزاج .

^١ المرجع نفسه ص ٣٠٤ .

^٢ الديوان ص ١٤٩ .

^٣ هذه الأبيات في طبقات الشعراء لابن المعتز ولا توجد في ديوانه .



وقد ذهب "إيليا الحاوي" ^(١) إلى مذهب تفسيري لتلك النزعة الماجنة لديه ؛ مغايراً لما اجتمع عليه النقاد ، فإذا كان النقاد وقفوا من أبياته:

**ألا فاسقنى خمراً ، وقتل هي الخمر ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر
فعيش الفتى في سكرة بعد سكرة فإن طال هذا عنده قصر العمر
وما الغبن إلا أن ترانى صاحبياً وما الغنم إلا أن يتعتعنى السكر
فبج باسم من تهوى ودعنى من الكنى**

فلا خير في اللذات من دونها الجهر

فقد أجمع النقاد على أن أبا نواس ران دائماً للذة وإمتاع الحواس ، ،
لكن إيليا اتجه إلى أن هذا المجون المتخذ " الخمرة " منحاً (هي ليست
خمرة حقيقية) وإنما هي خمرة وجودية تتناول إلى خمرة وفلسفة عمر
الخيام" ^(٢) وهذا الرأي يناقضه أبيات لأبي نواس تدل على تمتعه وتلذذه
بطعمها ، ولم يتخذها وسيلة للزهد في الدنيا لإحساسه بقصر عمره يقول:

**تسقيك من عينها خمراً ، ومن يدها خمراً فما لك من سكرين من بد
لي نوثان ، وللندمان واحدة شئ خصصت به من دونهم وهدى ^(٣)
إضافة إلى اعترافه أن طبيعته يلائمها الحرام ، وأن الخمرة بالنسبة
له شيء حرام يهواه فيقول**

يلائمني الحرام إذا اجتمعنا ، وأجفو عن ملائمة الحلال ^(٤)

^١ أبو نواس وقضية الحداثة ص ٧٢.

^٢ ثورة الخمریات ثورة الزهديات - محمد الصادق عفيفي ص ٢٧ وما بعدها بتصرف - دار

الفكر ط ١ ١٩٧١

^٣ ديوان أبي نواس ص ٢٧

^٤ الديوان ص ٣٠٧



فالأبيات دالة على عشقه الخمر فهي دنياه اللا نهائية ، ومحرابه المقدس ، وقد أوضح د/ طه حسين في " حديث الأربعماء " أن القرن الثاني كان حقل حاوي لكل مظاهر المجون، وأسباب ذلك متعددة ، من الغزو الفارسي بالفكر ، ونهج الحياة ، وكان لانتقال الخلافة إلى العراق أثر كبير إذ تأثر الأدب بالحضارة والنهج الفارسي ، حتى بلغ التأثير للمأكل والمشرب ، وتسرب التعلق بالمسكرات إلى كل الطبقات ، كذلك انتشر الفكر الرافضي بشكل فج ، ودعاوى لتحلل المجتمع من القيم والأخلاق الإسلامية ، وبث روح القدرية^(١) تلك الروح تأثر بها أبو نواس وحاول تبرير مسلكه غير آبه يقول:

فدعي معاتبتي على ترك التقى وتمتبي فيه على الأقدار

لو كان لي قدر يساعد صرفه لرأيت كيف تعفني ووقاري^(٢)

وقد أثرت فيه هذه المحاصرات الاجتماعية ، والفكرية ، والحضارية ، تأثيراً بيئياً .

٤- الاستهانة بالشعائر المقدسة لم يك أبو نواس يجد حرجاً في

حكي ما لا يليق سواء أكان ذلك حقيقة أم خيال الشعراء، ولعل هذا ماثل في قوله :

وعاشقين التف خداهما عند التثام الحجر الأسود

فاشتفيا من غير أن يأتيا كأنما كانا على موعد

لولا دفاع الناس إياهما لما استفاقا آخر المسند

^١ من ص ٣ : ٨٠ بتصرف

^٢ ثورة الخمریات ص ٤٩



ظلنا كلانا سائر وجهه **مما يلي جانبه باليد**

نعمل في المسجد ما لم يكن **يفعله الأبرار في المسجد (١)**

فالآبيات وإن كانت في معشوقته " جنان " إلا إنها تعكس تهتكًا وفجورًا يوضح جرأته فهو كما قال عنه العقاد " حليف نزوة، وأسير شهوة ، وجليس شذوذ وانحراف ، فهو يحب كل جميلة ، ويعشق كل مليحة ، ويتوق إلى معنى الأنوثة في عجبه واكتماله ، بل في تبذله وتهالكه (٢) والصورة كفن نقيمه صورة موحية إذ التقى عاشقان لقاءً حارًا ، لكن تفصيل الصورة وتصعيدها من خلال تتابع الجزئيات وإبراز التفاصيل؛ وجود شعور الحب، النقاء به تلامس ، هذا التلامس فجأة بلا إعداد فستلما وكأنهما على موعد ، ودبرا ما سيحدث وأعدا له عدته ، وفقد الوعى ، دفع الناس لهما ، استفاقتهما، الاستخفاء والتستر .. وكان نزوة التصعيد أن تلك الأحداث المتوالية في المسجد ، وعند الحجر الأسود ، والطامة الكبرى المفخرة بفعل أتياه وهما يعلمان أن الأبرار لم يكن ليقدموا على تلك الفعلة الشنعاء، وكثر في تلك القطعة توالي الأفعال مما يدل على تجدد حدوث دفع الناس لهما ، وتجدد حدوث إصرارهما على الاستكمال مستترين من قبل الناس " مما يلي جانبه باليد" لئلا يفتن أحد لتعمدهما تلك الإطالة في استلام الحجر الأسود.

٥- الاستهانه بأسس الإسلام والتهوين من التزامها والإتيان بها

يقول (٣)

^١ المرجع السابق ص ٢٣٣

^٢ أبو نواس عباس محمود العقاد ص ١٣٠ دار نهضة مصر

^٣ الديوان ص ١٦٥



والشرب عند فصاحة الأوتار	قل للعذول بحانة الخُمَار
متنك ، حبر من الأحبار	إني قصدت إلى فقيه عالمٍ
متبصر في العلم والأخبار	متممق في دينه متفقه
إلا عُقاراً ترتمي بشرار	قلت : النبيذ تحله ؟ فأجاب : لا
صل الصلاة ، وبت حليف عُقار	قلت : الصلاة ؟ فقال فرضٌ واجبٌ
من فرض ليلٍ ، فاقضه بنهار	اجمع عليك صلاة حول كاملٍ
واشده عرى الإفطار بالإفطار	قلتُ : الصيام ؟ فقال لي : لا تنوه
شيء يُعمد لآلة الشطَار	قلت : التصدق والزكاة ؟ فقال لي
هذا الفضولُ ، وغاية الإدبار	قلت : المناسك إن حجبت ؟ فقال لي
ولو ان مكة عند باب الدار	لا تأتين بلاد مكة محرماً

فهذه الأبيات تخطت - في السخرية والاستهانة بأسس الإسلام - كل حد ، إذ أسند ما يقارفه أي فتوى شرعية " إني قصدت إلى فقيه عالمٍ متنك ، فهو ليس فقيهاً فقط بل إنه "حبر من الأحبار" بما هو معروف عنهم من الانقطاع للعبادة وزهدهم في الحلال فما بالك بالبعد عن الحرام ، ثم تابع ذلك ليبين قوة حجته في إتيان ما أتى، فما هو ذا الفقيه المتنك لا يحل الخمر على إطلاقه : إلا لو كانت زاهيةً صفاءً مثل الشرر ، والناسك في فتواه يأمره بارتكاب الواجب والحرام "صل الصلاة" " بت حليف عقار" ، بل يترخص في أمره بإتيان الفرض من جمع صلاة حول ، والتحرر من التزام الوقت " من فرض ليلٍ ، فاقضه بنهار" ويسأله عن الصدقة والزكاة فلا يشجعه على إنفاقها ، فالشطار أو المستغليين ممن لا يعملوا ينتهبوهما ، ويرتكبوا عليهما ، أو شطارة ومهارة منك أن تتصل ولا تنفقهما ، ويسأله عن شعائر الحج فيجيبه بأنه فضول وتزويد في العبادة ، وإدبار للملذات ثم يصعد في فتواه الخبيثه وينهاه عن إتيان مكة ولو كانت "عند باب الدار"



فهل الباعث على ذلك الاستهزاء بالفروض ، أو الاستهانة وذلك بتسفيهاها ، أو التظرف ، والتحرر من ربة اقتراف المحرم إلى متسع الالتزام بفتوى الناسك واقتفاء أثر كلامه.

إن ما زاد الأمر سوءاً شططه بإعلانه إيمانه بالدهر في قوله

يا ناظراً في الدين ما الأمر؟ لا قدرُ صح ولا جبرُ
ما صح عندي من جميع الذي يُذكر إلا الموت والقبر
فاشرب على الدهر وأيامه فإنما يهلكنا الدهر^(١)

فهذا الإعلان السافر إبّان مجونه وانطلاقه ، تنصل منه بعد ذلك حيث إنه- بعد رحلة الشك التي أفضت إلى دهريته - أبرز هذه الخصوصية العقديّة بجلاء من خلال القيمة الأسلوبية القصيرية أو الحصرية الماثلة في (فإنما يهلكنا الدهر) ثم ندم على ذلك المسلك .

٦- **التنصل من الخلق الإسلامي** حيث بدأ بجلاء من خلال دعوته

إلى تضييع الأمانة، والجبن عن الدفاع، عن الأوطان يقول :-

قلت : الطغاة : فقال لي لا تغزهم ولو أنهم قربوا من الأنبار
قلت : الأمانة هل ترد ؟ فقال لي لا تردد القطمير من قنطار
لا هم إلا أن تكون مُضمناً ديناً لصاحب حانة خمار
فاردد أمانته عليه ، ودينه واحتل لذاك ، ولو ببيع إزار^(٢)

في هذه الأبيات يستكمل الجرأة على أوامر الدين وأخلاقيات المسلمين فبينما المعروف أن كلمة حق تقال عند إمام جائر خير كما قال صلى الله

^١ديوان أبي نواس ٢١٨

^٢المرجع نفسه ٢٠١



عليه وسلم (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)^(١)، نجده يدعو للتهافت والتخاذل والتخلية بين المتجبرين والطغاة والأوطان "قربوا من الأنبار " وبينما عظم القرآن الأمانة " إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها " سورة الزمر وحث رسول الله على تأديتها "أدّ الأمانة من ائتمنك ولا تخن من خانك "^(٢) وجعل خيانة الأمانة من علامات النفاق " آية المنافق ثلاثة إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان "^(٣) لكن شاعرنا لم يزل يتصل من خلفه الإسلامي ، فنجده يحض على التهامها ، ولا يرد أبسط الأشياء التي لا قيمة لها " القطمير " ، ثم ينزلق لهوة التناقض فهو في المطلق يدعو لتضييع الأمانة إلا إذا كانت الأمانة والدين لصاحب حانة فيجب الرد ، ولو كلفه ذلك بيع إزاره . ولعل هذا يصادق على استمراره في إشباع متطلباته المادية دون الاكتراث بحدود الشريعة

وربما أوضح رؤيته تلك باعتبار أن الخمار " صاحب حانة " من

الشخصيات المهمة المؤثرة في حياته التي يحرص على رضاها

٧- الاستهانة بالحرّمات : ونذكر منها علي سبيل المثال لا

الحصر: اعترافه بالسكر في المسجد ، وتضييع مهابته ، وجعله وكراً للخلاعة والمجون حيث إنه دلف للمسجد "الجامع" بالبصرة وجعله مركزاً لمجونه وهنا نراه يقول مفاخرًا بمجونه :

^١ رواه الترمذي ، سنن الترمذي ج ٨ ، ص ٣٤٥ .

^٢ شرح بلوغ المرام لعطية سالم ، ج ٨ ، ص ٢١٢ .

^٣ رواه البخاري ، في كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، ومسلم في كتاب الإيمان .
باب خصال المنافق .



لنا بالبصرة البيضا ء أُلْف وإخوان
بها ليل ، ساميح لهم فضلٌ واحسان
كأن المسجد الجامع ع عند الليل بُستان
وفيه من طريف النب ت والأزهارألوان
له في خده خالٌ به الأبواب فُتان
وقد جرعني كأساً لها في القلب نيران^(١)

هذا الكلام العاكس لنفس مستهينة بالمقدسات ، غير متورعة عن التطاول على بيت من بيوت الله إذ اتخذته وكرّاً للمجون لا مؤثلاً ومآلاً للعبادة ودعم الوشائج الروحية.

٨- الغزل بالمذكر . فلصقت هذه الرؤية الشاذة وقد اشتهر بها شهرة واسعة، إذ كان الشعراء يستصحب بعضهم بعضاً لمنادمة الغلمان والائتناس بهم وقد ساعد - على نقشي تلك الظاهرة مجتمعه العباسي المختلط ؛ فقد كان للثراء الملحوظ والحرية التي كان يرقل فيها الشعراء وعلية القوم ، اليد الطولى في إشاعة تلك الآفة فقد ملوا المعروض من النساء ورنوا إلى الغلمان، ولاسيما أن البيئة كانت تساعد على انتشار تلك الفاحشة ؛ ويعد أبو نواس الأب الروحي لهذا النوع من الغزل ، فقد فتن بالغلمان وافتخر بمواصلتهم يقول:

قل لذا الوجه الطيرير ولذا الردف الوثير
ولغلاق همومي ولفتاح سروري
والذي يبخل عنى بقليل من كثير
يا صغير السن والمو لد في عقل الكبير



وتقليلاً في التلاقي **وكثيراً في الضمير**
لم تفضبت على عب **دك في خطب يسير**
فارض عنى بحياتي **يا حياتي وأميري**

وهناك أبيات حادة الانفعال يمتلئ بها ديوانه (1)

تشير إلى أن هذا التهتك والغرام الشاذ كان حقيقياً، وتولد من نفس
ملتاعة هامت غراماً بالشذوذ ، وأطرافه (غلمان-شرب خمر-مجالس
غناء - مصاحبة أهل اللهو والمجون - البعد عن الصلاح وأهله)

الدعوة إلى انتهاب الذات والتوجس من صدق الثواب والعقاب

يقول

ورأيت اتباني اللذذة والهوى **وتعجلي من طيب هذى الدار**
أحرى وأحزم من تنظر أجل **علمي به رجم من الأخبار**
ما جاء من أحد يخبر أنه **في جنة مذ مات أو في النار** (2)

وغيرها من الأشعار الدالة على الاستخفاف. والتهتك ، وهي أبيات
تعكس توجهه الأولي في الحياة ، من الرغبة في حب العاجلة ،
واقتناس متعتها المعايئة الحاضرة القصيرة، لا الانتظار للمتعة الغائبة
الأجلة المستديمة ، بل تأرجح يقنه بتحققها " **علمي به رجم من الأخبار**"
ثم يسوق حجة لذلك المسلك أن المعلومات والخبرة بالموت وما بعده
معدمة

ما جاء من أحد يخبر أنه **في جنة مذ مات أو في النار**

1 ص 238-275-303-307-318

2 الديوان ص 231



وبعد : فإن ما سقناه من نماذج شعرية جاءت دالة وكاشفة عن انحرافات الشاعر الأخلاقية والعقدية، بما يدل على أننا أمام شاعرية ترجمت كل ما سبق بحق.



الفصل الثاني

توبة أبي نواس

تعددت التعريفات التي جاءت في التوبة، وأقربها لما نحن بصدده هي الرجوع إلى الله وإدراك النفس أنه لا فرار من الموت وملاقاة الجزاء على ما بدر من أعمال إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فيؤوب الإنسان متيقنًا من بغضه للمعاصي، مع العزم الأكيد على عدم العودة إلى الذنب مرة أخرى.

وبعد أن انغمس الشعراء -ومنهم شاعرنا - في المذات، واجترأوا على المحرمات وتجاوزوا المحذورات، فاضت أنفسهم رغبة في الرجوع عن الباطل، ورهبة من ملاقاته؛ فزهدوا في المذات .. المحرم والمباح.

ولم تك تلك الثنائية قاطعة الحدود بيّنة الفواصل، فقد يجمع في فكاهاة تمور عذوبة بين الضدين مسلًا حياتيًا وإبداعًا شعريًا، فهذا هو ذا يتصدر مشهدًا وينتزع الإعجاب، فقد حكى "ابن المعتز": اجتمع أبو نواس، ومسلم بن الوليد، والخليع، وجماعة من الشعراء في مجلس، فقال بعضهم: أيكم يأتيني ببيت شعر، فيه آية من القرآن وله حكمة؟ فأخذوا يفكرون فيه، فبادر أبو نواس فقال:

وفتية في مجلس وجوهم ريحانهم قد أمنوا الثقبلا

دانية عليهم ظلالها وذلت قطوفها تذيلا^(١)

فتعجبوا وأفحموا ولم يأت أحد منهم بشيء، فتذبذبه بين العبث والالتزام لم يحل دون تسرب أي القرآن الكريم إلى نظمه، فالتركيب يستظل بقوله

^١طبقات الشعراء ابن المعتز ص ٢٠٧



تعالى " ودانية عليهم ظلالها " بينما الألفاظ منتخبة بعناية "فتية " تدل على شرح الشباب ، وقوته وعنفه في مجلسه ، الجار والمجرور يوحي بتجمع مترفين لا شأن لهم بتتغيص العيش ومكابدته ، بل منصرفون للذاتهم ، يؤيده " وجوهم - ريحانهم " فهم معطرون رعدون ، ليس هذا فحسب بل هم في مجلسهم حكراً عليهم آمنين فيه ، لا يقتحمه لا يكدر صفوهم أو يقتحمه عليهم ثقيلاً.

"قالزهد الذى يعرفه الإسلام ويحترم أهله ويكرم أربابه هو الزهد مع الوجد ، والعفة مع الاستطاعة، والتواضع مع العلو ، والتسامح مع القدرة والقوة"^(١). وقد تضافرت أسباب دفعت أبا نواس للتوبة ، فبعد أن غاص في الملذات و المنعمات ، عافت نفسه ، فخلع رداء الفجور ، وارتدى لباس الزهد واعتزل الناس تائباً ، وحينما زهد نظم في هذا الغرض ، يروى أبو مخلد الطائى " جاء أبو العتاهية إلى عندى فقال لي : إن أبا نواس لا يخالطنا ، وقد أحببت أن تسأله ألا يقول في الزهد شيئاً فإنى قد تركت له المديح ، والهجاء ، والخمر ، والرقيق ، وما فيه الشعراء ، وللزهد شوقى ... فبعثت إلي أبي نواس فجاء إلي وأخذنا فى شأننا ، وأبو العتاهية لا يشرب النبيذ معنا ، فقلت لأبى نواس ، إن أبا إسحاق من قد عرفت فى جلالته وتقدمه ، وقد أحب أنك لا تقول فى الزهد شيئاً .. فوجم أبو نواس عند ذلك ، وقال : يا أبا مخلد قطعْتَ علي ما كنتُ أحبُّ أن أبلغه من هذا ، ولقد كنت على عزم أن أقول فيه ما يتوب به خليع ، وقد فعلت ولا أخالف أبا إسحاق

١ الأدب الصوفي في مفهوم جديد_ عبد الكريم الخطيب ص ١٠ سلسلة الثقافة الإسلامية ١٩٦٥.



فيما رغب فيه^(١) ولعل ذلك التوقير لأبي العتاهية ورغبته في إفراح المجال لأبي نواس ليصل ويجول في هذا الغرض جاء نابغاً من صحبة ومودة قديمة " فقد ربط بينهما التشابه في هوس الانحراف - النسب المدخول، لذا شبالإثنان وبينهما روابط ظلت كامنة ولها قدرها..،

يقول العقاد: إن أبا العتاهية (كان من الموالي ، وكان في شبابه على ذي المخنثين ، وكان هو معاصره الوحيد ، من الشعراء الذى صافاه ولم يقاطعه أو يترفع عنه)^(٢) وقد انخرط فى المجون ثم تابا ... والتوبة لم تأخذ عند أبي نواس مساراً واحداً..، بمعنى أنه لم يتحرر من ربة المجون بمتطلباته وينخرط وسط التائبين بانضباطهم في قرار واحد بل ظلت تجاذبه نفسه تارة عاصية، وتارة مطيعة وفي هذا يقول:

أفانيت عمرك ، والذنوب تزيد والكاتب المحصى عليك شهيد

كم قلت لست بعائد في سوءٍ ونذرت فيها ، ثم صرت تعود

حتى متى لا ترعوى عن لذة وحسابها يوم الحساب شديد

وكأنى بك قد أتتك منيةٌ لا شك أن سبيلها مورود^(٣)

فالنفس منضوية على يقين حتمية الإياب ، فبعد الرتع فى الملمات ، ينتفض معلناً الإياب مستحضراً قوله تعالى " ياعبادى الذين أسرفوا على

^١ الحسن بن هانىء ١٢٤

^٢ المرجع السابق ١١٣

^٣ الديوان ص ٦١٩



أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً" (١) فما بين الرغبة والمنعة قال متأرجحاً بين الإغراء بالمعصية، والدعوة للتوبة:

تكثر ما استطعت من الخطايا **فإنك بالغُ رباً غفورا**

ستبصر إن وردت عليه عفوا **وتلقى سيذا ملكا مجيرا**

تعض ندامة كفيك مما **تركت مخافة النار السرورا (٢)**

(٢)

ف نجد اعترافه بتقل المعاصي التي ارتكبها، والرغبة في التوبة الصادقة؛ حيث إن بابه المفتوح هو ما يجعله مستريح البال، كذلك نجد ظلماً لقوله تعالى " ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله ، يجد الله غفوراً رحيمًا " (٣) فيقول متأثراً:

دب فيّ الفناء سُفلاً وعلواً **وأراني أموت عضواً فعضوا**

ليس من ساعة مضت لى إلا **نقصتنى بمرها بي جزوا**

ذهبت شرتى بجدة نفسي **وتذكرت طاعة الله نضوا**

لهف نفسي على ليالٍ وأيا **م تملّتهن لعبا ولهوا**

قد أسأنا كل الأساءة يا ر ب فصفاً عنا إلهى وعفوا (٤)

^١سورة الزمر أية ٥٣

^٢الديوان ٧٣٠

^٣سورة النساء أية ١١٠

^٤الديوان ص ٥٨٠



وقد ترجع أسباب هذه التوبة إلى عدة عوامل، من أهمها- كما ورد في شعره - ثلاثة أسباب يمكن تلخيصها.

الأول : الحب والحرمان عاش أبو نواس عاشقًا ولهاً، تتبدل بين يديه المعشوقات والمعشوقين، ولكنه يقع تحت رحمة معشوقة تكيل له صنوف الهجر، والإهمال ، واللامبالاة ، فيجد الحياة بدونها خواءً وفراغًا فيزهده ويستشعر أن الحياة بلا فائدة وهنا يقول:

الحب داء ما بلى يمثل حرقة القلوب

والحب ليس له سوى من قد كلفت به طبيب

حيث إن تارجه ما بين المنح والمنع؛ إنما يُشكل حالة نفسية ترددية ، جعلته أكثر حيرة في هذه التضادية غير المتكافئة...

موت الأحبة شكل موت الأحبة مؤثرًا قويًا ومحولاً مهمًا في حياة أبي نواس إذ فجعته الحياة بالفقد تلك الحقيقة التي اضطر أن يعبر عن إيلاها لنفسه حينما رثى والبة بن الحُباب ⁽¹⁾ ساكبًا نفسًا ملتاعة لفقده.

فاضت دموعك ساكبة جزعاً لمصرع والبه

لا تبعدن أبا أسا مة ، فالنية واجبه

كل امرئٍ تفتاله منها سهامُ صائبه

كتب الفناء على العبا د فكل نفس ذاهبه



الأبيات مزج من شجو النفس وحرزها على صديقه ، وحرزه على نفسه وذلك لتفهيمه أن هذا مآل كل العباد ، فكل حي سيغتاله سهم صائب، وتجدر الإشارة إلى القول: إن ثقافته الإسلامية كانت حاضرة في البيت الأخير وبخاصة اقتباسه الرائع من قوله تعالى " كل من عليها فان" (١)

الثاني : ظهور الشيب.. وفيه جزع الشاعر وقد ارتاع لظهور الشيب ، إذ إنه علامة وداع الشباب ، ورسول الموت الذي جاء ينذره بقرب دنو الأجل، فاعتذر لما بدر منه ، إذ كان تحت صبوة الشباب فغر به حتى داهمته كبوة المشيب فهجره الغواني من جملة مشاهد تغير الحياة من حوله ... ننظر إليه وهو يقول:

لم يَنبني اللّهُ عن غُيبان مَوردها ولم أكن عن دواعيها بصميت
حتى إذا الشيب فاجأني بطلمته أتبع بطلمة شيبٍ غير مَبخوت
عند الغواني إذا أبصرن طلمته آذن بالصرم من ود وتشتيت
فقد ندمت على ما كان من خطل ومن إضاعة مكتوب المواتيت
أدعوك سبحانك اللهم فاعفُ كما

عفوت يا ذا العلى عن صاحب الحوت (٢)

يخبر أن الشباب ذاك الباب الواسع الذي دخل منه إلى عالم اللّهُ والمجون ، وكان العجب العجاب الذي ساوره أن فاجأه الشيب دفعة واحدة، دون لين أو هواده ، وكان الحصاد المر أن قطع كل علائق الود مع

^١سورة الرحمن أية ٣٦

^٢الديوان ص ٤٠



الغواني ... لكن المحقق هو إقراره بالندم على ما فات، والرغبة الصادقة في التوبة والعودة إلى الله.

ويستمر تيار العجب العجاب فيرى أن المشيب الذي لحقه ليس أمراً طبعياً و قاسماً مشتركاً بين الناس وإنما هو الهوى وما قاساه منه و مما شبيهه يقول:

نال منى الهوى منلاً عجيباً وتشكيت عاذى والرتيبا

سبت طفلاً ولم يحن لى مشيب غير أن الهوى رأى أن أشيباً^(١)

والواضح أن الشاعر في تناوله لظاهرة الشيب التي داهمته يقر أمرين :
الأول داهمته له منذ الطفولة ليعكس عاطفته السلبية تجاهه .. الآخر :
مناهضة الهوى له ، حيث إنه بعوالمه المتشابكة كان ضده .

ثانياً: مظاهر التوبة :-

ولعل معن النظر في التوبة النواسية -كما وردت في شعره-يلمس أن لها مظهرين :

الأول : الدعوة إلى تلجيم اللسان، وكبح جماح النطق بالغث من الكلام... يقول:

مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

إنما السالم من ألد جم فاهُ بلجام^(٢)

حيث يقدم حكمتين في البيتين السابقين وقد استخلصهما من تجاربه الحياتية

^١الديوان ٢٧٥

^٢المرجع السابق ٦٢٠



الثانى : الإقرار بالتوبة والإخلاص فيها بالاستغفار :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا محسنُ فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك ربّ كما أمرت تضرعاً فإذا رددتَ يدي فمن ذا يرحم
ما لى إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم إنى مسلم^(١)

فقد ظهر من خلال جملة أساليب إنشائية – التوسلات إلى الله
بالإخلاص والصدق في التوبة ؛ لأنه الجبر سبحانه وتعالى وموجب الدعاء
ومحقق الرجاء .

وهكذا تحول أبو نواس الداعي للخلاعة والمجون، والنهل من ملذات الدنيا ؛ إلى داعية للتوبة والاستغفار من الذنوب، حيث يظهر الخلوص في النية ، والصدق في التوبة بجلاء من خلال تحذيره نفسه قبل الآخرين من حساب الله وعقابه ، منجياً إياه ، ومتوسلاً بالاستغفار والرجاء . هذا ويبدو التنوع ما بين الأساليب الإنشائية بدافع الترفق والترحم والتشفق والتوسل ... والخبرية من خلال تصدير قاطرة حكمية – أمر حاصل هنا ، كان من شأنه أن قدم فائض دلالة بحق يقول:

سبحان علام الغيوب عجباً لتصريف الخطوب
حتى متى ، يا نفس ، تغد ترين بالأمل الكذوب
يا نفسُ توبى قبل أن لا تستطيعي أن تتوبى

^١الديوان ص ٦١٨ - زهديات أبي نواس أحمد الزبيدي ص ٦٩ - ٧٠



واستغفري لذنوبك اله رحمن غفار الذنوب
إن الحوادث كالرياح ح عليك دائمة الهُبوب
والموت شرع واحد والخلق مختلفو الضروب
والسعي في طلب التقى من خير مكسبة الكسوب
ولقلما ينجو الفتى بتقاه من لُطخ العيوب^(١)

هذا ولم يتوقف تيار التوبة المتدفق فنراه هذه المرة مناجياً ربه في
ضراعة مبدياً الانكسار والندم، أملاً في غفران الله سبحانه وتعالى.

أيا من ليس لي منه مجير بعفوك من عذابك استجير
أنا العبد المقر لكل ذنب وأنت السيد المولى الغفور
فإن عذبتني فبسوء فعلى وإن تغفر فأنت به جدير
أفر إليك منك وأين إلا إليك يفر منك المستجير^(٢)

لكن شيئاً لافتاً يجدر بنا ذكره هنا ، وهو سلامة عقيدة أبي نواس
متمثلة في

(حسن الظن بالله) جعلته يشيع الأمل بأن للعاصين متسعاً في عفو الله
وغفرانه ، فعفو الله عز وجل أكبر من أي ذنب:

يا كبير الذنب عفو لله من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء عن أص عر عفو الله أصغر

^١ديوان أبي نواس ص ٦١٦

^٢المرجع السابق ٢١٥



ما قضى الله وقدر

ليس للإنسان إلا

رب الله المدبر

ليس للمخلوق تدبير

ويستدعي تجربته المجونية مسألًا بعد أن ربح مما فيه خسران ، فنراه

يعنف نفسه على نقضه التوبة بعد إعلانها ثم معاودته اقتتراف الذنوب

فيلوم نفسه لأن الذنوب مكتوبة عليه وحسابها شديد يوم القيامة:

أفانيت عمرك ، والذنوب تزيد والكاتب المحصي عليك شهيد

كم قلت لست بعائد في سوء ونذرت فيها ثم صرت تعود

حتى متى لا ترعوى عن لذة وحسابها يوم الحساب شديد

وكأنني بك قد أتتك منية لا شك أن سبيلها مورود^(١)

وهو يحس بدبيب الموت وإفناؤه لأعضائه، إذ يرى ببصيرته موته،

وتكفينه فيرثى لحاله في أبيات تعكس حزن نفسه ولوعة حيرته:

فكأن أهلك قد دعوك فلم تسمع وأنت محشرج الصدر

وكانهم قد عطروك بما يتزود الملوكى من العطر

ياليت شعري كيف أنت على ظهر السرير ، وأنت لا تدري؟

أوليت شعري كيف أنت إذا غسلت بالكافور والسكر؟^(٢)

^١ديوان أبي نواس ٦١٩

^٢ديوان أبي نواس ٦٠٩-٦١٠



ويقول: حينما وجد دبيب الموت ينساب في أعضائه عضواً فعضواً

دب في الفناء سفلاً وعلواً وأراني أموت عضواً فعضواً

ذهبت جدتي بطاعة نفسي وتذكرت طاعة الله نضواً

لهف نفسي على ليال وأيا م تمليتن لعباً ولهواً

قد أسأنا كل الإساءة فاللهم صفحاً عنا وغفراناً وعفواً^(١)

فها هو ذا ينطق لسانه بما امتلأ به قلبه في مناجاة صادقة، وكأن المناجي لم يك بالأمس القريب من الدعاة للمعاصي المجاهرين بها، المفخرين باقترافها ، فالنفس الإنسانية لا بد لها من إياب مدرّكاً لحقيقتها، وضعفها، وعاصيها ، ولبارئها قوته، وعفوه .



الفصل الثالث

الصورة الشعرية في إبداع الشائبة

الصورة الشعرية : هي الشكل اللغوي المنظوم الذي صبت فيه التجربة الشعورية في بنيتها النهائية، وهذا الحد يتناسب مع المعنى المراد منها الآن.

أو هي كما يقول الجاحظ ت ٢٥٥ بقوله : جنس من التصوير وضرب من النسيج ، وقد جعلها العسكري ت ٣٩٥ من أقسام التشبيه " وتشبيهه به لونا وصورة "(١)

وقد أعطاها الجرجاني - ت ٤٧١ - مدلولاً أدبياً مستمداً من المرئي؛ فالخاتم يشارك آحاد جنسه في خصال وبيانه في خصال أخرى " عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك "(٢)

وقد شكلت الصورة عند أبي نواس تميزاً فريداً، إذ قد يطلب الصورة ولا تمده اللغة العربية، فيلجأ للفظه غير عربية تعطي له ما أراد، فالصورة في نصه الشعري اتسمت : بالحدثاة المسندة إلى جذور تليدة ترجع إلى ثقافته المستمدة من علماء عصره .. أبو زيد النحوي ، سيبيويه ، علي يعقوب ، الحضرمي وغيرهم من علماء اللغة والبيان. إضافة لما شاع في زمانه من أسلوب أدائي ، ونهج تعبيرية، ولا شك أن الصبغة الذاتية لديه بدت خصاله

١الصناعتين ص٢٥٤ ط عيسى الباب الحلبي ١٩٥٢

٢دلائل الإعجاز ٣٦٥ مطبعة مجلة المنار ١٣٣١



في فكاوته، وظرفه الدالة على بديهية مقتدره فقال فيه الحضري (كان
أظرف الناس منطًقا ، وأعزهم أدبًا، وأقدرهم على الكلام ، وأسرعهم
جوابًا)^(١)

وحياة أبي نواس الخاصة هي مختصر حياته العامة ، وصورة
عاكسة للمجتمع واتجاهه في عصره" فقد تحللت الصورة فيه من عقدة
الصراع هذا لتغدو الصورة أكثر ملاءمة لظروف الحياة التي يحياها الشاعر
العباسي " - على حد قول د/ العربي درويش -^(٢) فأبو نواس منح نفسه
الحرية في التقلت من القيود والضوابط القديمة، وعبر عن أحواله الجديدة في
أطر جديدة غاضًا بصره عن التعابير والأطر القديمة.
يقول :

غدوت على الذات منتهك الستر وأفضت بنات السر منى إلى الهجر
وهان على الناس فيما أريده بما جئت ، فاستغنيت عن طلب العذر
رأيت الليالي ، مرصداً لذتي فسبادرت لذاتي مبادرة الدهر
رضيت من الدنيا بكأسٍ وشادنٍ تكميرٍ في تفضيله فطن الفكر^(٣)

فالصورة..... هنا لم تهتم بعقد روابط بين المشبه والمشبه به ، بل تلم
شعث أجزاء متباعدة وتحاول إيجاد علاقة بينهما، فالصورة عنده امتازت

^١ ثورة الخمریات ص ٣١

^٢ أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر ، ص ٢٤٢ ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٧

^٣ ديوان أبو نواس ١٣٩



بالجدة والاختلاف ذلك" أن لأبي نواس نظراً آخر يحيل الظواهر إلى صور،
ورموز، ويرى عبرها ملامح وانعكاسات عالم آخر فيما وراء الحس"^(١)

عافر أبو نواس الخمر، ولازمها عشقاً ربما لينسى همومه، أو لما تبثه
فيه من إحساس، وقد كان ينفق عليها كل ما يجنيه من أموال، حتى حينما
وهبه الخصيب ثمانين ديناراً، أنفقها كلها على الخمر بلا تريث، وكأنما ألف
الفقر والحاجة؛ لذا تسربت الملامة إلى نفسه، وأصابه الملل من كل
المتاحات حلال أو حرام، فانغمس في الإدمان المغيب إلى حين، والعرض
الذي أُولع به أوصله إلى شكل من أشكال التمثيل - على حد قول العقاد^(٢)
^(٣) وقد أبدع النواصي؛ في وصف كل ما يتعلق بالخمر، ولم يك هذا بشكل
تقليدي، بل التمس صوراً جديدة لها، ووصفها بصفات متعددة، فمنها:

صفة القدم فقدم الخمر ومر الليالي والأيام عليها يكثف تأثيرها ويُعلى

قيمتها يقول: **أقامت حقبة في قعر دن تفور وما يحس لها لهيب**^(٣)

- وفي أبيات أخرى

ما زال يطوها تقادما حتى اعتدت روحاً بلا جسم

فكأنما أجنان شاربها مطروفة بتألق النجم^(٤)

^١ ديوان الشعر العربي ص ١٨، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، على احمد سعيد
أدونيس

^٢ الحسن بن هانيء ص ١١٨

^٣ الدن إناء لا يقعد إلا بحفر له الديوان ٢٤٤- فهو غير مستوى القاعدة

^٤ الديوان ص ١٧٨



وهذه صورة شعرية تجسيمية دقيقة، وكأن قدمها حولها من مادة إلى
روح تتلأأ على أجنان شاربها

الرقعة والطفافة : الخمر عنده لا كيان لها فهي متناهية اللطافة
موجودة في النفوس كالضمير والدين :

فهى روح مخلص فارق اللحم والدم^(١)

تحديد **اللون**: إذا كان الشعراء قد وصفوا لون الخمر بدقة كبيرة،
وأشاروا إلى ألوانها الأربعة : أسود، أحمر، أصفر ، أبيض ، فإن أبا نواس
يرأها متلألئة دائما مشعة تعني عن الصبح وضيائه يقول:

قال ابغنى المصباح قلت اتدحسبى وحسبك ضوءها مصباحاً

فكبت منها في الزجاج شربة كانت له حتى الصباح صباحاً^(٢)

فهذه الصورة الطريفة متعددة الأطراف ، فما هو ذا صاحبه يطالبه
بالمصباح ليرى ، فإذا أبى نواس ينبهه لتخاذ ضوءها مصباحاً ، فإن
ذلكيفياهما إلى الصباح، ويستدل على وضائتها ونورها بأنها حين تصب
في الكاس تنير كالصباح .

ويتفوق حين يقول:

والشمس تطلع من جدار زجاجها وتغيب حين تغيب في الأبدان^(٣)

^١ المرجع السابق ٣٢٧

^٢ الديوان ص ٢٥٦

^٣ الديوان ص ٣٤٤



وصف الطعم : اتفق الشعراء على أن مذاق الخمر لاذعٌ . مز

الطعم، أما أبو نواس ، فقد شبه طعمها بالفلفل

فأريج عنبرة ، والطعم فلفلة والكأس من ذهب ، واللون من نور^(١)

فأريج صور شعرية تآزر في تكوين موحد يجسد قيمة الخمر : رائحة ، وطعمًا ، وهيكلاً ، ولونًا

وصف الرائحة : أجمع الشعراء على طيب رائحة الخمر ، وشبهها

أبو نواس بالمسك حين قال :

معتقة حمراء وتدها جمر ونكمتها مسك ، وطلمتها تبر^(٢)

هذه صورة متعددة في القالب التشبيهي أجاد أبو نواس في توظيفه

وعرضه

وصف الصوت : كان أبو نواس لحيه للخمر مهتمًا بتشخيصها ،

يرى أن لها صوتاً فيقول

كأن قرقرة الأبريق بينهم رجع المزامير ، أو ترجيع فأفاء^(٣)

فقد سمع صوت الإبريق كترجيع الفأفاء مما يدل على شدة

طربه، وشغفه بسماع صوت الإبريق وهو يسكب الخمر في الكؤوس .

اهتم أبو نواس بتوضيح أثر الخمر الروحي والحسي ، ودبيبها في

الأعضاء حتى إنها تترك شاربها السكران كالميتة .

^١ الديوان ٢٩٤

^٢ الديوان ٢٨٠

^٣ الديوان ص ٢٣٦



حتى غدا السكران من سكره كالميت في بعض أحيائه^(١)

فهذا التقسيم الجيد: هو زمام أمر الأشياء، فلكل شيء رائحة، وطعم، ومكان، ولون، وقد حدد أبو نواس ذلك بتصنيف مبدع. إذ حدد لكل جزئية خاصية رآها غلبت على الخمر وطمست خصالها الأخرى.

ومن سمات الصورة عنده- على سبيل العرض والتنويه لا

الحصر والشرح-

١ - التشخيص: وهو سمة أساسية من سمات الصورة عند أبي

نواس، وأجاد التشخيص بإتقان إذ مزج بها نفسه، وهو مثلاً يصور الخمر

كعروس يخطبها^(٢) **يا خاطب القهوة الصباء، يمهرا بالرطل يأخذ**

منها ماله ذهباً

قَصْرَتِ بِالرَّاحِ ؛ فَاحْذَرِ أَنْ تُسَمِّمَهَا فَيَحْلِفُ الْكِرَامُ أَنْ لَا يَحْمِلَ الْعَنْبَا

إِنِّي بَدَلْتُ لَهَا لَمَّا بَصُرْتُ بِهَا صَاعاً مِنَ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَا ثَقْبَا

فَاسْتَوْحِشْتُ ، وَبَكَتْ فِي الدَّنِ قَائِلَةً يَا أُمَّ وَيْحَكَ ، أَخَشَى النَّارَ وَاللَّهْبَا

فَقُلْتُ : " لَا تَحْذَرِيهِ عِنْدَنَا أَبَداً "

قَالَتْ : " وَلَا الشَّمْسُ ؟ " قُلْتُ : " الْحَرُّ قَدْ ذَهَبَا

قَالَتْ : فَمَنْ خَاطَبَنِي هَذَا ؟ " فَقُلْتُ أَنَا "

قَالَتْ فَبِعَلَى ؟ " قُلْتُ : الْمَاءُ إِنْ عَذْبَا

^١الديوان الديوان ٣٤٧

^٢الديوان ص ٢٩



وهذا شكل حوارى مميز، فإن كان عمر بن أبى ربيعة قد سبقه فى الحوار الشعري الواقعي والمتخيل، فإن أبى نواس قد فاق وأبدع فى التشخيص إذ أوجد الفكرة فى ذهنه وشخص الطرف الآخر " الخمر " وأقام الحوار ملتمسًا له كل وسائل النجاح والإيضاح .

وعلى الرغم من أن عصر أبى نواس هو عصر البديع والتعقيد، إلا أن صورته الشعرية برأت من ذلك" بينما لبث التشخيص فى شعر أصحاب البديع صنعة خارجية، افتقدت فيها جذوة الإحساس "(١) وفى صورة جديدة أصبغ على الخمر خصلة مادية فها هي ذى تختار صاحبها وتحدده وتتقيه من بين المعروضين عليها.

لا تمكننى من العريـد، يـربنى **ولا اللـيم الذى إن شمنى تطبا**
ولا المجوس، فإن النار ربهم **ولا اليهود، ولا من يعبد الصلـبا**
ولا السفال الذى لا يستفيق، ولا **غر الشباب ولا من يجهل الأدبا**
ولا الأراذل، إلا من يوقرنى **من السقاة .. ولكن اسقنى العربا**
ياقهوة حُرمت إلا على رجل **أثرى، فأتلف فيها المال والنشبا(٢)**

والأبيات توحى بعقلية تصنيفية مرتبة لأنواع الشاربين عريـد - لئيم - مجوس - يهود - سفال - غر الشباب - يجهل الأدب - الأراذل - السقاة الموقرون.

وهنا ملمح متوهج إذ إن تلك الأبيات تنفي ولاءه لغير العرب، بل أقر بكرم العربى، وشرف محتده إذ جعل محبوبته - الخمر - تطلب أن تكون

^١ فن الشعرى الخمرى وتطوره عند العرب إيليا الحاوى ص ٢٨٠ دار الثقافة بيروت ب ت.

^٢ الديوان ص ٩١-٩٢.



له ويتجرعها عربي ، وقد يهدف الشاعر إلى ما بعد التجديد، ويرنو إلى تجسيد الحلول والمزج بينه وبين الخمر، يقول إيليا الحاوي: " ومن مميزات أسلوب أبي نواس الصور الكاريكاتورية ؛ وهي في الفن تختلف عن الصورة العادية في الاختلال بين أطرافها والتناقض في معانيها. والنشوة التي تعترينا بها يغلب عليها الزهو والاستخفاف"^(١).

ومن أطرف أوصاف أبي نواس قوله :

فكأنما أجفان شاربها مطروفة بتألؤ النجم^(٢)

فهو يطبق أجفانه ويفتحها كأنها مطروفة وهو منظر مثير للضحك عند تخيله ، وهو طريف في تصويره ، ويستمر أبو نواس في الإبداع ، والتجديد، صابغًا غريب الصفات ، وجليلها على محبوبته - الخمر - ، فتمتد الطرافة والصور الجديدة ، فالخمر تهتك الأسرار وتقشيتها ، وتذهب بالهموم وتقنيها

فتهتك أسرار الضمير من الحشا وتبدي من الأسرار كل حبيس^(٣)

ويقول أيضًا

إذا ما أنت دون الهامة من الفتى دعا همه من صدره برحيل^(٤)

وهناك خاصية لوصف أبي نواس ففي وصفه يأتي بصور بالغة الجودة، قد تكون حسية، وقد تكون معنوية، مثل : صورته حول تأثير الخمر على شاربها فهي تكسب وجوههم حمرة ، وقد تدفعهم للعبوس والحزن:

^١ فن الشعر الخمرى ص ٢٨٤.

^٢ الديوان ص ٣٢٧.

^٣ المرجع السابق ٢٩٦.

^٤ المرجع السابق ٣١٠.



كأس إذا انحدرت في حلق شاربها أجدته حمرتها في العين والخد^(١)

ويقول :

مزاجها دمع حاسيها فأى فتى لم يبك إذ ذاقها من حرقة الكأس^(٢)

ومن المطالع النواسية المميزة:

لمن دمن تزداد حُسنُ رسوم على طول ما أقوت وطيب نسيم

تجأفى البلى عنهن حتى كأنما لبسن على الإقواء ثوب نعيم^(٣)

ومن مطالعه الشهيرة الاستحسان :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء وداوئى بالتى كانت هي الداء^(٤)

ونلاحظ أنه لا يرتكن في صوره إلى الموروث الثقافي، أو إلى ما

تولد في ذهنه المستمد من قدرته الذاتية وموهبته الفردية فقط، بل ازينت

صوره الشعرية بصور مستمدة من القرآن.

إن للموت أخذة تسبق للمح بالبصر^(٥)

وفيها التأثر الواضح بقوله تعالى " وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر"^(٦)

كذلك قوله

والرء ما عاش عاملٌ نصب لا ينقضى حرصه ولا أمه^(٧)

^١الديوان ٦٣.

^٢المرجع السابق ص ٢٩٧.

^٣العمدة ج ١ ص ٢١٩.

^٤المرجع نفسه .

^٥الديوان ٦١٢ .

^٦سورة القمر، آية:٥٠.

^٧الديوان ٦١٥.



فقد تأثر بقوله تعالى مع اختلاف المعنى " وجوه يومئذ خاشعة
عاملة ناصبة"^(١)، وقوله :

إذا ما خلوت الدهر يوماً ، فلا تقل خلوت ، ولكن قل على رقيب

ولا تصبن الله يغفل ساعةً ، ولا أن ما يخفى عليك يغيب

لهونا بعمر طال حتى ترادفت ذنوب على آثارهن ذنوب^(٢)

ولم يقتصر تأثيره على التصوير القرآني البديع بل تأثر بشكل بيّن
بالبلاغة النبوية فقال مستوحياً الحديث الشريف:

إن القلوب لأجنادٌ مجندةٌ لله ، في الأرض بالأهواء تختلف

فما تعارف منها فهو مؤتلفٌ وما تناكر منها فهو مختلف^(٣)

ولا يخفى أن أصل المعنى ورد في الحديث الشريف أخرجه مسلم في
صحيحه، بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "
الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"^(٤)

^١سورة الغاشية، آية: ٣.

^٢الديوان ص ٦٣.

^٣الديوان ٢٧٧.

^٤(كتاب : البر ، والصلة ، والاداب ، باب الارواح جنود مجندة ، ٢٠٣١٢٦٣٨١٤):
الكتاب : المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى : ٢٦١ هـ ، المحقق
محمد فؤاد عبد الباقي الناشر دار إحياء التراث العربي- بيروت ، عدد الأجزاء ٥).



- قرن أبو نواس حالته حين يشرب الخمر بالمجتمع الخارجي ، وإحساسه بشكل تجريدي ، وإحساسه النفسي وذلك على عكس غيره من الشعراء فالأعشى والأخطل يتجولان في عالم ذي حدود مادية .. صورهما منتمية للواقع، أما أبو نواس فإنه يتجول في عالم المعانى والتجريد، بالإضافة إلى العالم الواقعي ، فهو إذ ما اعترته حالة تحت تأثير الخمرة ، يشبهها بحالة أخرى شعر بها في نفسه ، فالمشبه والمشبه به من المجردات ، لكن إجادة النظم تُحلها في الأذهان.

ولا شك أن التطور العقلي في العصر العباسي هو الدافع للشعراء ليتجهوا إلى الحديث عن المجردات، فتحدثوا عنها وكأنها مجسّدت، وانساب ذلك وتبدى في شعر أبي نواس كقوله :

ولرامٍ فضل على الأيام

اسقنا ، إن يومنا يوم رام

شوق في وجه عاشق بابتسام

من شراب أذ من نظر المهـ

نسبوة السمع عن شنيع الكلام^(١)

لا غليظ ، تنبو الطبيعة عنه

فتراسل الحواس هنا إذ جعل للعين إدراك اللسان ، فأسند لها التذوق وهي خاصية إدراك وتمييز اللسان إضافة إلى خاصية تمييزها ألا وهي الرؤية ، وتداخل الحواس ومحو الفوارق بينهما دليل على الرقي العقلي والإبداع النظمي ، ولقد وضع بذلك بذور الشعر الرمزي الذي يخلط بين الغيوم والصفاء، والمرئي والعقلي، ويمنح أحياناً خواص حاسة لأخرى بشكل مبدع.

إلا أن أبا نواس لم يكن يصطحب هذا الأسلوب باستدامة، بل يخطر به في فترات نادرة ، ولقد عُني بشكل زائد بالصناعة اللفظية ، ويبدو أنه أسرف



في استخدامها مما جعل العتابي يتبعه قائلاً " والله إنه لشاعر ، ولكنه
تمادى به حب البديع حتى أغرق فيه " (١)

ب - ظاهرة المزاجية : في الصورة الشعرية ، زاوجت الصورة لديه بين
القديم والحديث، فقد تخطى بصورته الشعرية المستحدثة وأسلوبه
الحواري نهج عمر ابن أبي ربيعة، حيث امتزجت الحضارة الآنية
بالثقافة الموروثة في ذهنه ، فالحضارة والترف ورغد العيش جعله يبدع
حواراً في أبيات متوالية ملئت أناقة تعبيرية ، ليس في اللفظ فقط بل
امتدت إلى الصورة ، ثم تشعبت حتى سيطرت على الشكل الفني ، فهو
يلبس الصور التليدة ثياباً قشبية تشهد بقوة تأثره بالحضارة الطريفة،
وسيطرتها على فنه، يقول :

سقى الله ظبياً مبدى الغنج في الخطر

يميس كفصن البان من رقة الخصر

وفى نشره طيب كرائحة العطر

بتفتير لحظ . ليس للشمس والبدر

حُباب عَُقار أو نقيص من الدر^(٢)

بعينيه سحر ظاهر في جفونه

هو البدر إلا ان فيه ملامحة

ويضحك عن ثغر مليح كأنه

فقد جمعت الأبيات بين القديم والحديث في الصورة : فهي " ظبي وثغرها
كالدر" من الصور المألوفة القديمة ، لكنه لم يجعل ريقها خمراً كالقدامي،
وإنما جعل الفقاقيع التي تعتلي كأس الخمر " الحُباب " هو أسنانها رقة ،
ولمعاناً ، ودقةً ، حتى إذا ما وصفها بالبدر - على تقليدها - يضيف لها

^١ ثورة الخمریات ثورة الزهديات ص ٦٥.

^٢ الديوان ١٦٧.



ملاحظة اللحظ وفتوره، وهو جمال ليس للبدر، فالشطر الأول يحكي الأحداث وتطورها فيما بينهما، والشطر طريف بلغ فيه حد الإعجاب والتهيه ، ولم نر أحدًا بعده يسلكه أو يطوره.

وانتقل أبو نواس بالخيال الخصب إلى الفضاء إذ حلق بعيدًا عن المرنثيات والموروثات ، فأوجد حلقة جديدة انتقل الشعر بها من الإتياع إلى الإبداع، فصح عليها مسمى " توقيعه " بما تشير له من لقطه حيوية مؤثرة في الشعر لا تقبل الاختصار ، والتوقيعه لا بد لتؤدى دورها أن تكون خصبة مؤثرة ، ولها امتداد مؤثر أو مسيطر على البيان العام للقصيدة ، فتكون متنامية لا عقيمة محددة الدلالة، فقد تكون هناك صورة جميلة لكنها عقيمة خواء لا أصداء لها، ولا مردود على السياق العام للقصيدة^(١) وإذا كان الأمر كذلك فإن الصورة عند أبي نواس ، مظلة واضحة المعالم منكفئة على رؤياه ، موضحة لوجهة نظره، متسقة مع حسه وشعوره ، فإذا أنت في أبيات تكون إما مستمدة من إرثه الثقافي، أو مستحدثة من تصوره وخياله، ويتداخل الواقع بأحداثه، ومرائيه في ذلك.

ج- الطابع الحضاري لا شك أن الصورة الشعرية في عصره تأثرت بالطابع الحضري ، واستمدت مكوناتها من الحياة الناعمة، وطوابعها ومكوناتها، فتخلصت من الخشونة والبداءة ، كذلك تخلصت من بعض الأساليب مثل المطابقة ، والتقييد بالإصابة ، ودقة الوصف، فقد انطلق إلى عوالم أرحب وأوسع ، وأقام علاقات بين عالمه المحسوس وعالم التخيل، فهو يصف المرأة وصفًا جديدًا فيقول:

^١التفسير النفسي للأدب عز الدين إسماعيل دار العودة ودار الثقافة ص ٧٥-٧٦.



وتغمس في العبير قميصها حتى شكا الغرقا

سلاس كُـسِرَتْ حَلَقًا

وسالت من عقيصتها

ر يـمـلـؤـه إذا عـرِقا^(١)

على بشر كأن الدُّ

فهو يدعو إلى تحطيم القيود الشكلية في التعبير الفني، أو في السلوك الاجتماعي، فإذا كانت الطبقة المترفة فرضت التحلل من القيم الأخلاقية، ولا مست الحرية السلوكية، فليتجه هو أيضاً للحرية التعبيرية، وليقصدها صراحة بلا موارد أو تخفي يقول:

ألا فاسقنى خمراً ، وقل لي : هي الخمر

ولا تسقنى سراً ، إذا أمكن الجهر^(٢)

يقول العقاد " وإنما كانت مسألة التبذل عنده مسألة ظهور متعمد واستخفافاً برأى الناس؛ لأنه يريد أن يلقي في روعهم أنهم أهون لديه من أن يتستر لهم، وأن ينزل عن لذة من لذاته لمرضاتهم، وأنهم أهون عليه فيتحداهم، ويطلب مهاجمتهم ويؤثرها على ثنائهم " (٣) فالنزعة الوجدانية جلية في هذا البيت، وهي منطوية على تحدي المجتمع بضوابطه، فهو لا يستخفي بليل بل مجاهر متحدّ .

د - محدودية ورود أداة التشبيه : فقد قل استخدامه أداة التشبيه في صورته الشعرية، وذلك حتى ينطلق في رحاب التجريد والتصورات متخلصاً من الحسية . يقول أبو نواس:

^١ الديوان ٢٨١ .

^٢ الديوان ١٤٨ .

^٣ الحسن بن هانئ أبو نواس - العقاد ص٣٢ .



وكأس كمصباح السماء شربتها على قبلة أو موعد بقاء....

أنت دونها الأيام حتى كأنها... تساقط نُور من فتوق سماء (١)

هـ- الإغراب في الخيال ، تشبع أبونواس بالحضارة الفارسية وهضم ألفاظها
يقول :

ثم سُجت فاستضحكت عن لآلٍ لو تجمعن في يد لاثُنينا

في كؤوس كأنهن نُجوم جـاريات ، برُوجها أدينا

طالعات مع السقاة علينا فإذا ما غربن يغربن فينا (٢)

فصورته مقتطعة من المرئي حوله ، إضافة إلى مخزونه الثقافي ،
يقول في وصف الأقداح :

ثُدار علينا الراح في عسجدية حبتها بألوان التصاوير فارسُ

قرراتها كسرى ، وفي جنباتها مها تديها بالقسى الفوارس

فللخمر ما زُرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلانس (٣)

و- الإفراط في الاستعارة : كثر استعمال أبي نواس الاستعارة .. فنجده
يختار المعنى الدال على قدم الخمر بأسلوب جديد :

- فهي سن الدهر إن فُرت نشأ وارتضعا من لبان (٤)

^١ديوان أبي نواس شرح إيليا الحاوي ١:٤٦.

^٢ديوان أبو نواس ص ٣٠.

^٣ديوان أبو نواس ٢٤٤.

^٤الديوان ص ١٩.



فهي لقدمها لم تنشأ مع الدهر فقط ، بل إن الدهر طَعِمَ منها ما يراه ماثلاً
أمامه أما ما كُنَّ وَخُفِي فهو المتبقي يقول:

أكل الدهر ما تجسم منها وتبقى لبابها المكنونا^(١)

ز - استخدام الألفاظ بإيحاء جديد: استنتج إيراد أبي نواس صوراً جديدة
أن يستخدم ألفاظاً وصياغة جديدة متخلياً عن الألفاظ القديمة، مثل
تصويره لقدم الخمر

كريمة أصغر آبائها إن نسبت كسرى وسابور^(٢)

من أقدم الأسماء الشهيرة " كسرى ، سابور " فإن طالبا الخمر
بالانتساب إلى ذويها فما هما ذا ... على قدمهما؛ ونظراً لأن أبا نواس
مرق من كثير من الصور القديمة ، فقد أبت الألفاظ القديمة أن تسعفه
فيما أتى من صور قشبية ، فقد لجأ إلى ألفاظ وصور جديدة، فلم يركن
إلى شكل تعبيرى واحد من تشبيه أو استعارة بل تبدى إبداعه في
توظيفها بتوازن محمود " فالصورة واللفظ والصيغ والتراكيب جميعها
تتعاضد على توضيح الهدف والغاية من هذه الأبيات ،"^(٣) فمن بنية
قصيدته المؤلفة من اللفظ والتركيب، والصورة الشعرية، تجلت ثقافته
وفكرته التي يريد توصيلها، إذ لديه هدف أكبر من صبب الواقع في
ألفاظ، أو رص جمل متناغمة، حتى الاستعارة اتخذت عنده وضعية
مختلفة، لم تعد هي أو التشبيه قائمة فقط على المقاربة بين المتشابهات

^١ المرجع السابق ص ٣٧٦.

^٢ الديوان ١٤٧.

^٣ أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر د العري حسن درويش ص ٢١٦.



بلى تخطتها - كما في المثال السابق وغيره- "فالخمرة روح مخلص
فارق اللحم والدم ، وأكل الدهر ما تجسم منها ، وتبقى لبابها المكنونا "
فرؤيته العصرية، وحدثته، وجهته إلى الجديد المبتدع، أو النحو
بالقديم منحيّ جديداً، يتناسب مع الجديد المستحدث في العصر
العباسي، صابغاً ذلك بصبغته الثقافية ، والفكرية، وما تمليه حياته
المعاشة" لقد استطاع أبو نواس أن يحتال بطبعه على صنعته، حتى
خفيت في تلافيف شعره . ومن هنا كان في تناوله حذراً ، لم يشأ أن
يجعل منه غاية ، بل بقي لديه وسيلة للإفصاح عن المعنى لإعطائه
أبعداً أعمق ، أما صورته فعلى الرغم من جدتها وطرافتها، فقد بقيت
دائماً قريبة من الطبع تبعداً على غرابتها عن فكرة كونه صانعاً ".^(١)

- وقد تأثر بالأعشى في صورته وتشبيهه على حد قول د/ محمد حسين
الذي قال في تعقيبه على بيتي أبي نواس :

بلسان ناطقٍ ، ونم

عُتقت حتى لو اتصت

ثم قصت قصة الأمم^(٢)

لا حبتت في القوم مانلةً

" إلى جانب هذا التقنن في عرض معاني القدماء ، وفي مزج الفلسفة
بالأدب ، هذا المزج اللطيف الذي لم يقصد به الشاعر إلى أكثر من
التظرف ، فلم يحوج السامع إلى جهد التفكير إلى جانب هذا ، نجد أبا نواس
قد تخلص من البداوة والجزالة، التي كان الأخطل حريصاً على استبقائهما
في شعره، وحتى في البحور الطوال التي أنشأ عليها أبو نواس بعض شعره

^١ التطور الفني في شكل القصيدة ص ٢٩٠، د أحلام الزعيم.

^٢ الديوان ص ٤١.



في الخمر لا يكاد يشعر القارئ بالوقار والجزالة التي كان يحسها في خمريات الأخطل؛ ذلك لأن أبا نواس قد خلع على شعر الخمر أسلوباً ماجناً عابثاً، بكل معاني المجون والعبث، ماجناً في بحوره، وفي ألفاظه السهلة القريبة التي حكى بها كلام الشرب والخمّار والساقى ، وفي معانيه التي تشيع فيها الفكاهة^(١)، وإن تبدى تأثر أبي نواس أكثر بالأعشى في استعماله الأوزان القصيرة، في قص حديث الخمر، وشاربيها، ومجلسها . لقد خلع الحياة على الخمر ... ولشدة تعلقه بها حولها من المادية إلى المعنوية فجعلها لدقتها روحاً بلا جوهر.

وهناك صورة شعرية نواسيةاجتمعت لها البراعة والجدة، وبدت فيها قدرة أبي نواس على الصوغ المبدع ؛ من دقة في اختيار اللفظ ، إلى اقتدار في صوغ العبارة ، إلى تمحيص المعنى ، والوقوع على أفضل الدلالات، مثل قوله :

فنحن فرسانها ، وصرعها

نغلبها أولاً، وتغلبنا

وتحسر العين أن تقصاها

تلتهب الكف من تلهبها

مخالف لفظها لعناها

تجمع عيني وعينها لغة

في حجره صانها ، وربّها^(٢)

كان لها الدهر من أب خلفاً

فقد اختار ألفاظه بعناية فائقة ، ووظف البديع بأصنافه، فانساب داخل

المعاني

^١ أساليب الصناعة في شعر الخمر ٢٥-٢٦ .

^٢ الديوان ٤٢٥ .



" نغلبها - تغلبنا " " تلهب - تلهبنا " وكان له الإبداع كله في عبارته "مخالف لفظها لمعناها " وكأنه قد أدرك بأن اللفظ توأم المعنى ، فإذا ما تُلفظ به ورد المعنى إلى الذهن وتجسم؛ لذا أراد إحراز هذا السبق وإيضاح المخالفة بين اللفظ والمعنى، وعلى وضوح دلالة الأبيات إلا أنه لف تلك العبارة بغلالات من الإبهام والغموض المثرى للذهن؛ إذ لم يكشف بالتفصيل عن اللفظ وتداعياته، ثم أوضح المعنى ومقتضياته، بل ترك ذلك مبهمًا فاتحًا المجال لإعمال الذهن .يقول أدونيس :

" تتم التجربة النواسية في مناخ من الرمز ، حيث يبدو العالم والطبيعة مجتمعًا آخر ، تتحقق فيه بقوة الشعر أحلام الشاعر ، ولقاءاته مع نفسه ، إن هناك تشابهاً بين الإنسان والطبيعة، ومن هذا التشابه يستمد الشعر مجازاته، واستعاراته ، وكنائياته وصوره ... فشعره اكتشاف للأشباه والنظائر بين الإنسان وصفاته ، والعالم وصفاته " (١)

وهو هنا كان يلامس الرمزية، إذ إنه يستبصر ما يحاكي الإنسان في الطبيعة وما يشابهه باقتدار لم ينحِ خاصية تكوينه الإبداعية، وقد تفتق ذهنه عن إبداع صور جديدة للتعبير عن شدة ولعه بالخمير، ولا شك أن تعلق الإنسان بالشيء يجعله - غالبًا - مجيداً للتعبير عنه ، وهذه الصور الجديدة لفتت النظر إلى إبداعه فكان "أبو نواس للمحدثين مثل امرئ القيس

١ مقدمة ديوان الشعر العربي ١٨ ، ط ١ ، اختيار وتقديم على أحمد سعيد (أدونيس) ، منشورات المكتبة العصرية ببيروت ، ١٩٦٤ .



للمتقدمين ، وشعره عشرة أنواع، وهو مجيد في الكل ، وما زال العلماء والأشرف يروون شعره ، ويتفكرون به ، ويفضلونه على أشعار القدماء " (١)

- رقت عن الماء حتى ما يلائمها لطافةً ، وجفا عن شكلها الماء

فلو مزجت بها نوراً لمازجها حتى تولد أنواراً وأضواءً (٢)

فهو هنا يتمادى في وصف رقة الخمر ، ووصف الخمر في تلك الصورة مشكلة بتصوره (وما دامت الصورة كشفاً نفسياً ، فإن دورها لا يقتصر على النقل الحرفي أو استحضار صورة المحسوسات) (٣) بل هي كاشف لما في نفس الشاعر من رغبة ملحة للإغراق في الملذات الحسية عليها تنسيه مآله؛ لذا استعان بألفاظ مبهرة متألئة ، بشكل يوحي بدوامها يعكس الرغبة في ذلك نور - أنوار - أضواء ...

وهذا التنوع والتميز التصويري عند أبي نواس تبدى بشكل جلي ليس في الموضوعات المطروحة فقط، بل أيضاً في آلاته وأدواته... فها هي ذى الأبيات التي تخلد الخمر، وتصبغ عليها من الخصال والصفات ما لم يصفه بها من قبله - على إبداعهم في وصف الخمر كالأعشى والأخطل - فقد ارتفعت عن قانون المادة، وانفجرت بمتوالية حركية تمزج التفاعل وتنميته " حتى تولد " تعبيراً يوحي بالديمومة والاستمرارية " ثم حشد مجموعة مترادفات متألئة " الأضواء - الأنوار - الذي فضلاً عن إيحائه بالتألق ، والوهج ، شكّل رمزاً لتغير الألوان وتداخل الأشعة وما كان لخياله أن يحده حدود

^١ خزانة الأدب للبغدادى ج ١ ، ١٦٨ ط بولاق.

^٢ الديوان ص ٦٠.

^٣ علم نفس الأدب د. محمد طه عصر ص ٩٥ شركة ناس للطباعة ٢٠٠٠.



وهو يتحدث عن إمكانيات معشوقه - الخمر - فهي ياقوتة مستقلة ، حتى إنها تستطيع أن تحتل مكانًا بذاتها فقط دون حصرها بإناء .

قامت بإبريقها ، والليل معتكراً
فأرسلت من فم الإبريق صافيةً
رقت عن الماء حتى ما يلائمها
فلو مزجت بها نوراً لمازجها
دارت على فتية دار الزمان بهم
فما يصيبهم إلا بما شاءوا^(٢)

هذا التراسل للحواس أكسب كل حاسة خواص أختها فيرى بأذنه ، وهو يعتمد إلى الصفات الذهنية ، ويبدع في إطارها ، متجاوزاً باقتدار إبداع سابقه في الحقل الفني نفسه ، كالأعشى والأخطل .

فالصورة الشعرية تضخ في نصه الحياة وتتتابع دقات نظمه في متواليه دالة على شدة تأثره بموضوعه ، وتناثره في ذاته المشبعة بثقافة العصر ، فإذا ما أراد التعبير عنه تسربت معارفه وثقافته القديمة إلى لفظه ، فعبّر عن حسه بصور ألّفت بين الثقافة القديمة والحياة الحديثة في مزج يعتليه بصمته التي أنذرت ومهدت للرمزية، من خلال تراسل الحواس وغيرها من أدوات الرمزية .

ح- تنامي الصورة وكثافتها : والصورة عند أبي نواس متنامية، متناثرة ، في أبياته، فهو لا يطلعنا على ما انطوت عليه ذاته في مرة واحدة، ويصبه في تشبيهه، أو استعارة ، أو كناية، أو غيرها من وسائل التبيين أو التحسين

^١ شعر اللهو والخمر ، جورج غريب ص ١٥٤ .

^٢ الديوان ص ٧ .



، بل كانت تنساب في أبياته أجزاء تجري نحو الكل حتى إذا ما انتهى من نظم فكرته انجلت الصورة ووضحت، فكثيراً ما رنا بنظم أبياته إلى الاستحواذ على إعجاب المتلقين ومشاركتهم له في تبثله في محراب خمرته يقول:

فتومت في مفاصلهم كتمشى البرء في السقم^(١)

البرء والسقم ... مجردان ومشى أحدهما في الآخر بانسيابية وتسرب ، تعد صورة تجسد الثقافة العباسية الصائغة للمجردات كصياغة الماديات، بثقافة واقتدار ومن يستمع للبيت قد تداخله الرغبة في التجريب، ومعايشة اللحظة؛ نظراً لقوة الصورة وجمالها؛ إذ تعتمد على الأحاسيس النفسية غير مرتكزة على الحواس الظاهرية، وقد ادعى كلثوم العتابي أن أبا نواس سرقه " من شوسة الفقعسي" حين قال :

إذا ما سقيم حل عنها وكاءها تصعد فيه بروها وتصوبا^(٢)

غير أن المعنى وإن كان متقارباً إلا أن ذلك قد يرجع إلى توارد الخواطر والأفكار بين من يشرب الخمر، ويمارس ويعايش تسرب أثرها في جسده حدة مخففة. وإلا فأبو نواس عبر بالمشي وهو شيء ملموس ثقيل ، ونص على تأثيرها في المفاصل، وهي وإن كانت من الأعضاء القوية المنوء بها تحمل المشاق وممارسة الأعمال؛ إلا أنها شديدة التأثر بالدبيب عليها وهذا التأثر يسري في الجسم كله ، أما "شوسة" فرؤيته أن السقيم يقصدها استشفاءً وبمجرد حل الوكاء يحصل المراد وانتخابه لفظة " تصعد" على دلالاته المعنوية المتجاوزة -المشي- دال على قوة أثرها وعنف تأثيرها فهي

^١ الوصف في الشعر العباسي ص ٢٤٣.

^٢ المرجع السابق ص ٢٤٣.



تعتليه تصوب وتبرى سقمه ، فهو ينتخب الكلمات بعناية لتمثل الحالة "الحلّة" في ذهنه ويريد إحلالها في أذهان الآخرين (إن الكلمات بخاصة في الاستعمال الشعري ليست إلا مجرد أدوات تمثل الأشياء . وليست الصورة التي تتكون من هذه الكلمات إلا صورة تعبيرية)^(١) فقد أراد التعبير عما تمثله الخمر في نفسه، فقد بلغ من هيامه بها أن جعلها كريمة لا يتناولها إلا الكريم " فهو يتلاعب باللفظ أو توليده ، فحين يريد أن يقول: إن الخمر لا يشربها إلا الكريم ، يشق من الكرم الكرم ويقول منسباً بين اللفظ ومولداً^(٢) - على حد قول د/ زغول سلام - يقول أبو نواس^(٣).

وخذها إن شربت وميض برق

لتجعل هذه عُرساً لهذا

ولا تسقى المدام فتىً لنيمياً

لأن الكرم من كرم وجود

ومن صورهِ المتنامية في شعر التوبة :

سهوت وثرني أملى وقد قصرت في عملى

ومنزلة خلقت لها جعلت لغيرها شغلى

يظل الدهر يطلبنى وينحونى على عجل

^١التفسير النفسى للأدب د. عز الدين إسماعيل ص ٦٩ دار العودة ودار الفكر.

^٢دراسات في الأدب العربي ١١١.

^٣الديوان ص ١٤٤.



فأيامي تقربني وتدنيني إلى أجلى^(١)

ففي لقطة ارتفع فيها حسه الإيماني ، وانخفضت رغباته الجامحة إلى اقتناص اللذات ، أدرك أن الدافع إلى سهوه القديم من عمل الطاعات ، هو الاغترار بالأمل في طول الحياة ، وسبب حزنه أنه أدرك – متأخراً- أنه ترك عمله ، "شغلي بغيره " ، ليس هذا فحسب ؛ بل إنه مطلوب ..وظالبه الدهر فأنى له المهرب ، وقد تكافتت معه الأيام التي تقربه إلى أجله ، فحزنه على سهوه مُصعد متنامي، رابطاً للأسباب والعلل

وقد تعلق بأهداب الأمل ، فما هو ذا يبشر سائل الله أنه قد سلك سبيل الظفر والفوز؛ لأنه رغب إلى الله الباقي الذي لا يلحقه بلى ، ولا يتغير ويتعجب من الراغبين في المتغير من الصبا إلى الكبر ، المشتغلون باللواهي وكأنهم في مأمن من سقر يقول^(٢)

يا سائل الله فزت بالظفر والنسوال الهني لا الكدر

فارغب إليه ، لا إلى بشرٍ منتقل في البلى ، وفي الغيرِ

وارغب إلى الله ، لا إلى بشرٍ منتقل من صبا إلى كبر

إن الذي لا يضيّب سائله جوهره غير جوهـر البشر

مالك بالترهات مشتغلاً أفي يدك الأمان من سقر

^١الديوان ص ٣٣٦.

^٢المرجع السابق ص ٢١٦.



فهو يستنكر انصراف الناس عن الدائم - الله سبحانه وتعالى - الباقي
الدائم ، وانصرافهم إلى الفانين المتغييرين ، ويدعوهم للإياب لمن لا يخبب
سائله والتبرئ من الترهات وكأنهم آمنون من العذاب .



الفصل الرابع

التجديد ومظاهره في ثنائية أبي نواس

ارتبط التجديد عند أبي نواس بمواكبة العصر المنطلق من القيود والضوابط ، وقد منحه ذلك مقدرة على سرد التفاصيل ممتزجاً ذلك كله بنفسيته ومحيطه ، وقد عمد إلى التجديد واتخذ كل الوسائل التي تمكنه من ذلك، ومنها :

المبالغة: وهي تجاوز الحد المعتاد، وتظهر أكثر ما تظهر في المدح أو الهجاء إذ يغلب حدة العاطفة والانفعال، فيخرج بالمتحدث عنه من المعتاد والمنتقل إلى اللا معتاد وغير المتقبل ، والصورة لديه تشكل وحدة منكفئة على أجزاء متنوعة، يربطها كيان عضوي موحد، فإذا ما تحدث عن الغزل أو الخمر أو التهلك أعطى صورة مرغبة مليئة بالإثارة والتشويق وال جذب ، وهذا تبدى في حديثه عن الخمر، إذ أضفى عليها شيات حيوية : فضلاً عن التلألؤ والضوء، فهي تملك الفعل ورد الفعل، وكأن شاربها يتعاملون مع كائن حي يقول :

نأخذها تارةً ، وتأخذنا موتورةً نقتضى ، ونبدأها

كان ناراً بها مخرشةً نمابها تارةً ، ونفشاها⁽¹⁾

- وهو لا يرى الأشياء على حقيقتها بل يراها بعين الراصد المتخيل، فالحباب الذي يعتلي الخمر قد يكون كاللؤلؤ ، ولو جمع من فوقها لصار وشاحاً

¹ديوان أبو نواس ص ٨ .



- **من قهوة جاءتك قبل مزاجها عطلاً فأبسها المزاج وشاحاً^(١)**

والوشاح أديم يرصع بالجواهر، والشاعر هنا يشبه الحبيب ككل فيجعله وشاحاً تلبسه الخمرة بعد مزجها بالماء، وفي موضع ثالث يشبهها بالبرد ويحترس بأن البرد منضد في غير سلك ولم يثبت بمسمار. فهذه الصور تثبت علقه بها، وخياله الخصب. وقد تمتلئ الصورة بالحركة والألوان.

ثم شجت فآدارت فوقها طوقاً فدارا

كاقتران الدر بالدر كـسباراً وصفاراً

فإذا ما اعترضته العين من حيث استدارا

خلته في جنبات الكأس واوات صفاراً^(٢)

أبيات تزخر بالصور، والمناظر، والحركة، المتغيرة.. فالحياب بعد شج الخمر سيطر عليها مثل الطوق المرصع بالدر الكبير والصغير، أو مثل الواوات الصغيرة.. ولا شك في أنها صورة مستحدثة جديدة، كذلك أيضاً امتد بخياله الخصب إلى تصوير الكأس فهو تارة لؤلؤة وأخرى عروس:

فالخمر ياقوته والكأس لؤلؤة من كف لؤلؤة ممشوقة القد^(٣)

كأن الزجاج البيض منها عرائس عليهن بين الشرب أردية حُر^(٤)

وهناك ميل للطبيعة إذ يستحضرها في صورته مثل قوله:

^١ المرجع السابق ص ٢٥٦.

^٢ الديوان ٢٧٤.

^٣ المرجع السابق ص ٢٦٥.

^٤ المرجع السابق ص ٢٨٠.



في كئوس كأنهن نجوم جاريات بروجها أيدينا^(١)

وقد سبق الأعشى أبا نواس ثم اقتفى أبو نواس خطوات الأعشى مع مهر خطواته بمبسمه بشكل دال على الإبداع من قوة المغايرة والتجديد قال الأعشى :

وسبيته مما تعتق بابل^٢ كدم الذبيح سلبتها جرياً لها

فقال أبو نواس :

أعطتك ريحانها العقار^٣ وحنان من ليك انفار^(٢)

فقد أجاد أبو نواس في بيته هذا إجابة فاقت الأعشى . فعندما سئل الأعشى عن معنى قوله " سلبتها جرياً لها " فقال : شربتها حمراء ، ولبثها صفراء ، فبقى حُسن لونها في بدني ... أما معنى " أعطتك ريحانها العقار " أي شربتها فانقلط طيبها إليك، فمعنى بيت الأعشى ينحصر في وصف تحول لون الخمر بعد احتسائها، على حين تركز معنى بيت أبي نواس في وصف أثر الخمر ؛ إذ انتقل طيبها إليه بعد عكوفه على شربها حتى الصباح، فبهذا الوصف حول المعنى المسلوک تحويلاً استحق به امتلاكه^(٣) وقد أجاد وجدد أبو نواس في وصفه مستقصياً المعنى الذي هو بصدد الحديث عنه، فإذا كان الوصف " ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيات ، ولما كان أكثر وصف الشعراء إنما يقع على الأشياء المركبة من

^١الديوان ص، ٣٣٩.

^٢الديوان ١٥٠.

^٣اتجاهات النقد العربي القديم للشعر، حسن احمد البنداري، رسالة دكتوراة ٩٣، دار العلوم ، ا. د محمود الربيعي ١٩٨٥-بتصرف-.



ضروب المعاني التي الموصوف مركب منها ثم بأظهرها فيه وأولها حتى يحكيه بشعره ويمثله للحسن بنعته " على حد قول قدامة بن جعفر^(١) - فإن هذا ما كان يسيطر على وصف مجالس الخمر عند أبي نواس ، إذ سيطر الاستقصاء على صورته الشعرية.

وقد يرسم بالكلمات صورة طبيعية ويضيف إليها ما حوته ذاكرته من حدث تاريخي، كتصويره منظر البقر الوحشي يحتال بعض جنود كسرى لقنصه واصطياده، فكأسه مزدانة بصور كسرى ملك الفرس. وإلى جانب ذلك منظر طبيعي يقول :

تدار علينا الراح في عسجدية

حبتها بألوان التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها

مها تدرىها بالقي الفوارس^(٢)

وقد أبدع وأجاد في وصف مجالس الغناء ، وهذا يدل على تغلغل السميت الفارسي في الحياة العباسية بشكل عام ، وفي حياة الطبقة المترفة بشكل خاص ؛ إذ تتضح وسائل الترف وتنوعها في المجلس العربي كالمجلس الفارسي وقد صورها في صور يغلب عليها المبالغة مدحًا أو قدحًا توافقًا مع طبيعته الماجنة ، وسلوكياته العابثة .

^١المرجع السابق ص ١٦٦ .

^٢ديوان أبي نواس ص ٢٤٣ .



سمات القصيدة النواسية

أبو نواس من أبرز الشعراء الذين أبدعوا القصيدة في القرن الثاني الهجري ؛ وإذا كان لكل عصر ظروفه المعيشية ... التي يضع عليها بصماته فإن أبا نواس كان أشد الشعراء إحساسًا بهذه الظروف المتغيرة، فتلة من الآخرين أقحموا على المجتمع المسلم خصلاً متقلبة ليسهل استرجاع مجدهم التليد، بعد هزهم قيم المجتمع وثوابته ، وتغير نمط الحياة نفسه عن ذي قبل ؛ فالحياة الجاهلية كانت منطلقة رحبة يعيش الشاعر كيفما اتفق مع قبيلته سلمًا وحرًا ، إقامةً وظعنًا وقديماً تغنى دريد بذلك :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد^(١)

واتسم الإبداع بهذا الانطلاق -التفكك أو الاستقلال - إذ يعبر الشاعر عما يريد بشكل أني محملاً بحسه وشعوره - سرعان ما يتغير الحس والشعور - ثم سرعان ما ينتقل إلى التعبير عن شيء آخر مما أضفى على الإبداع استقلالية وتميزًا، عُدَّ أحيانًا تفككًا وانفصالاً ، حتى وصف البعض القصيدة الجاهلية بالتفكك، وعدد مظاهر هذا التفكك بنحو الوحدة اللفظية والمعنوية للأبيات الشعرية إذ تواضع المبدعون على الفصل ..حتى إنهم درجوا في نقدهم على ما يرسخ هذه المواضع وذلك الفهم فيقال : أغزل بيت ، أهجى بيت ، أفرر بيت، مما رسخ البتر والانتقاء للمتلقي، ودعم الاستطراد والانتكاس والنقل - للمبدع - بين الأغراض ، كذلك وحدة الشكل المشروطة، فقد درج الشعراء على التزام الوزن والقافية ، إذ يحدثان تناغمًا بإيقاعهما، فاستعاض الشاعر الجاهلي بهذا التناغم والتكامل الشكلي

^١ديوان دريد بن الصمة ص ١١٦.



الخارجى عن إحدائه تناغمًا عضويًا يتنامى فى القصيدة، ويتكشف بالتصعيد المتوالي فى الأبيات، الحاوية لأقسام مطورة تشكل البناء العضوي الموحد للقصيدة، نتيجة وحدة الباعث العاطفي، ووحدة الهدف الفني، فالجاهلي استغنى بالشكل وترابطه، عن المضمون وتفككه " صارفًا النظر عما تخفيه من تفكك داخلي وتشتت مضموني" (١)

لكن ذلك لا ينفى كلية وجود وحدة شعرية - بشكل أو بآخر تربط أبيات القصيدة، وتقيم سندها. ووحدة الشعر هذه (كانت نتيجة لوحدة الفكر والصراع) (٢)، وهناك فارق دق ولطف بين وحدة الفكر ووحدة القصيدة التى تنبعث من حياة ذات أبعاد خاصة، وبين وحدة القصيدة التى هى تجسيد للحظة شعورية، وموقف نفسي موحد (٣).

وفى عصر صدر الإسلام والعصر الأموي حضرت الوحدة نتيجة أحادية الشعور فى الأغراض، فهى مقطوعات شعرية قلما تطول وتنظم فى غرض واحد، فإذا ما بدأ العصر العباسي بدأ معه التغيير الملموس، حيث تجلت الوحدة فى بعض الأغراض بشكل بَيِّن.. إذ تقلت القصيدة من المنهج الشعري الجاهلي، ونحّت المواضعات الفنية المألوفة جانبًا، وبدأوا القوائد وأنهاها كيفما اتفق، ومنحوا أنفسهم الحرية فى ارتياد المواضيع المختلفة، وتناولها إما بالشكل الجديد وإما فى إطار المنهج المتوارث،

^١ الشعر الجاهلى . محمد النويهى الدار القومية للطباعة والنشر د.ت .

^٢ قضايا النقد والبلاغة، د محمد زكى العشماوى، ص ١٤٥، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٧.

^٣ المرجع السابق ص١٤٧.



إضافة إلى أن الشعراء توجهوا للتعبير عن ذواتهم ، بشكل فردي عميق متخلين عن المنهاج الجمعي السطحي؛ لذا تغلب على الشكل الشعري المقطوعات لا القصائد الطويلة.

وقد صبغت القصائد بصبغة العصر، إذ اتسم الإبداع بالتسلسل والتركيز، وتقصي الفكرة بأجزائها المختلفة، إذ يجند الشاعر كل مؤهلاته لصياغة الفكرة وإبرازها متكاملة، فظهر التعاضد بين الأبيات واستكمال بعضها ببعض ، فغابت مواضع البيت المكتمل المعنى المستكفي بذاته؛ لتحل محله الوحدة العضوية لوحدة الغرض ، فالوحدة تحققت نتيجة للتنظيم العقلي ، والصوغ الفني ، والاقتدار اللغوي الذي يمدد بيزاد من المعارف والأفكار المنظومة التي تصاغ بشكل متنامي، حيث إنه وظف الصورة لاستكمال الغرض الأساسي للقصيدة ، فعدت الصورة لبنة في سرجه توصله لا تفصله، وتسهم إسهاماً مباشراً في إعطائه الأبعاد التي يعجز التعبير المباشر أن يصل إليها، وتتجلى الصورة الشعرية في هذه القصيدة إذ أسهمت أجزاءها في إيضاح ما يريد الشاعر.

وها هو ذا أبو نواس يعبر عن المرائي وهو يرتكز على ثقافته، وما شاع في عصره إذ يقول^(١)

يا طيبنا بقصور القفص مشرفة فيها الدساكرُ والأنهار تطرد
لما أخذنا من الصهباء ، صافيةً كأنها النار وسط الكأس تتقد
جاءتك من بيت خمّار بطينتها صفراءَ مثل شعاع الشمس ترتعد



فقام كالخصن قد شدت مناطقه ظبى يكاد من التهيف ينعد

فاستلها من فم الإبريق فانبعثت مثل اللسان جرى واستمك الجسد

ويستمر هكذا موضحاً أن هذا الإمتاع استغرق الأسبوع كله من السبت إلى الجمعة ، ثم بعد عدة أبيات ينساب إلى مدح الأمير أبي عيسى:

عند الأمير أبي عيسى الذى كملت أخلاته فهي كالأوراق تُنعد (١)

فكل جزئية منوطة بفائدة تخدم الصورة الكلية للقصيدة وصارت الصورة

" هي الوسيط الأساسي الذي يستكشف به الشاعر تجربته ، ويتفهمها كى يمنحها المعنى والنظام ، وليس ثمة ثنائية بين المعنى والصورة أو المجاز والحقيقة، أو رغبة فى إقناع منطقي أو إمتاع شكلي ، فالشاعر الأصيل يتوسل بالصورة ليعبر عن حالات لا يمكن أن يتفهمها أو يجسدها بدون الصورة (٢) .

فالصورة صارت وسيلة حتمية أو عنصراً فعلاً تفصح عن جزء من التجربة الإنسانية للشاعر، وتضيف خبرة للمتلقى ، فالصورة فى القصيدة النواسية تجسد النقلة الحضارية ، والثقافية ، والفكرية التي حدثت فى الإبداع فى العصر العباسي.

أبو نواس والوحدة العضوية: وهى استكمال أجزاء الفكرة

واستيفائها بحيث لا يكون هناك استدراك عليها .. بمعنى متى تكلم الشاعر عن فكرة ما استقصى أجزائها، واستوفى أركانها ، فلا يتفقت منه شيء،

^١ الديوان ٧٩ ، ٨٠ .

^٢ الصورة الفنية د جابر عصفور ٤٦٤ .



وضم الجزئيات بعضها إلي بعض يشكل الوحدة العضوية " ومن الطبيعي أن تلعب صور جزئية عدة أدوار تبادلية وتكاملية معاً سبيلاً لإنتاج فائض دلالة، يتناسب مع جملة التفاعلات الإيجابية بينهما" ^(١) فنجد اللفظ، والعبارة، والقافية؛ يتعاقدون في لحمة الوحدة العضوية وسداها، وقد لفتت انتباه القدامى والمحدثين، إذ أشاروا إلى حتمية وجودها يقول ابن رشيق " من حكم النسيب الذي يفتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متصلاً به غير منفصل عنه، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر وبأينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفى معالم جماله" ^(٢)

والوحدة العضوية " تقضى استيفاء كل فكرة في النظم في موضعها المحدد لها من القصيدة قبل الانتقال إلى الفكرة التالية" ^(٣) وقد تحققت الوحدة العضوية في قصائد أبي نواس الخمرية والقصصية ومنها قصيدته:-

وخمارة للهو فيها بقيية إليها ثلاثاً نحو حانتها سرنا ^(٤)

لا يصر فك عن قصف وإمضاء مجموع رأي ولا تشتيت أهواء ^(٥)

^١ دراسات في النثر الحديث، دحسام محمد علم، ص ٥٣، مطبعة بلال، ط ١، ٢٠١٧.

^٢ العمدة ج ٢ ص ٩٤.

^٣ النقد الأدبي د محمد غنيمي هلال ص ٤٠٣.

^٤ الديوان ٣٤٠.

^٥ الديوان ٢٣٣.



الثنائية وبنية القصيدة

اختلفت بنية القصيدة عن ذي قبل ، فأبو نواس شأنه شأن الشعراء يلقي أصحابه بوجه ويتعامل بوجه آخر ، فأما الوجه الأول فهو ملتزم حريص على التراث متبع أثر القدامى ، وأما الوجه الثاني فمتحرر ينزع للتجديد يبتدر طريقاً ويعبده ، وكأنه تمثل قول العقاد " إن الإنسان كل إنسان بلا استثناء إنما هو ثلاثة أشخاص في صورة واحدة ؛ الإنسان كما خلقه الله ، والإنسان كما يراه الناس ، والإنسان كما يرى هو نفسه " (١) فقد التزم أبو نواس شيات من النهج التقليد لكن بأسلوب طريف ، ونجد نكاه الأداء التعبيري تابعاً للذكاء الاجتماعي - أحياناً (٢) فتراوح أسلوبه بين القدم والحداثة بما يتفق مع الأجواء المحيطة المواكبة لظروف نظم النص .

فبينما شخصية أبي نواس مع أصحابه منطلقة لا تخضع لضابط ، نجد أن شخصيته في حضرة الحاكم منضبطة لا تشذ عن الضوابط يقول د/ يوسف خليف: " وكان هذا الازدواج في الشخصية الفنية ظاهرة مشتركة بين الشعراء المجددين في هذه الفترة، حتى أصبحت هذه الظاهرة سمة يحرص شاعر هذه الفترة على التمسك بها ؛ حتى يظهر في المجتمع الفني المدرك للبروتوكول الفني الذي يلبس لكل حالة لبوسها " (٣) .

١ أنا عباس محمود العقاد ص ١٥-١٦ .

٢ قلت أحياناً لأنه قد يضطر أن يضرب بعرض الحائط كل الضوابط الاجتماعية ، والمحاذير الدينية، ويعبر عما يبتغيه ، ويشتهيهِ معلناً إعلاناً صريحاً .

٣ حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ص ٦٩٢ ، دار الكاتب العربي ،



وقد هاجم أبو نواس القصائد ذات المطالع الطللية، باعتبار أن ذلك زيف فني وشعوري، فالشعراء القدامى كانوا يفعلون ذلك، وكانوا يمارسون حياتهم في ظل تلك العادات، فانسابت من ثم في أشعارهم، وتسربت إليها، لشعورهم وإحساسهم بها، فعبروا عنها بانسيابية، أما هو والشعراء المعاصرين له، فلم يمارسوها أو يتأثروا شعوريًا بها؛ لذا استنكر أن يفرض على الخلف الحس أو الأداء بما أحس وأدى به السلف، فكانت بداية بعض قصائده دخولاً في الموضوع - الخمر -

أعرض عن الربيع إن مررت به واشرب من الخمر ات أصفها^(١)

وقوله

أيا باكي الأطلال غيرها البلى بكيت بعين لا يجف لها غرب^(٢)

فالقصيد النواسية تكشف نهج أبي نواس ومهاجمته للمطالع الطللية ودوافعه وقد أفاض فيه النقاد " ثم انظر إليه ، وكيف يحقر القديم ، ويرفع من شأن الجديد، ويأخذ الناس بأن ينظروا إلى ما حولهم من جمال الطبيعة فيألفوه ، ولا يشغلوا عن رياض العراق وجنانه بطول الجزيرة العربية وصحاريها " (٣) - على حد قول د/ طه حسين - في تفاصيل يعرفها المتخصصون ، وكيف أن قصيدته ومنها (٤)

وعجت أسأل عن خمارة البلد

عاج الشقى على دار يسائها

^١الديوان ٤٢٨.

^٢الديوان ٢٤.

^٣حديث الأربعة ج ٢ : ٩٦ - ٩٧.

^٤الديوان ١١٠.



لا يرقىء الله عيني من بكى حجراً ولا شفى وجد من يصبو إلى وتد
قالوا ذكرت ديار الحى من أسد لا درُ درك قل لى من بنو أسد
ومن تميم ، ومن قيس وإخوتهم ليس الأعراب عند الله من أحد
دع ذا عدمتك واشربها معتقة صفراء تُعنى بين الماء والزبد
من كف مختصر الزنار ، معتدل كفنن بان تشنى ، غير ذى أود

ويعد هذا ثورة على القديم، ودعوة للتجديد، وقيل إن " الأمين " خشى سخط الناس وهم يرون شاعره المفضل بين الزق والعود ، فدعاه إلى الإحجام عن الإقدام والرتع فيما يغرق فيه نظائره من المجان مما دفع أبا نواس للأوبة إلى النهج القديم ، ثم بعد حين ثقلت عليه الشقة ، ورأى أنه يسير في طريق غير الطريق المتوقع منه مما جعله يسوق مبرراته عن هذه الانتكاسة بأنه مأمور من الخليفة يقول :

دعانى إلى نعت الطلول مسكطاً تضيق ذراعى أن أجوز له أمراً
فسمماً أمير المؤمنين وطاعة وإن كنت قد جشمتنى مركباً وعراً^(١)

وقد بدأ بعض قصائده بمطلع خمري تارة ، كالنموذج السابق ومعظم شعره كذلك، كما في قوله :

غرَّد الديك الصدوح فاسقنى طاب الصبوح
واسقنى حتى ترانى حسنا عندى القبيح
تهوة تذكر نوحاً حين شاد الفلك نوح



أنا في دنيا من العجب أس أغسدو وأروح^(١)

أو وصف رحلة صيد مثل :

خلق الشباب وشرتى لم تخلق ورميت في غرض الزمان بأفوقى

ولقد غدوت بد ستبان معلم صخب الجلاجل في الوظيف مسبق^(٢)

وأرى أن هجومه على القديم أوتقلته من المطلع الطللي كان حسبما اتفق إذا واتاه الشعر بشية قشبية واشها وبهاها ، وإن امتنع فله في مذخوره التراثي مندوحة خصبة، لكنه كثيرًا ما كان يؤوب إلى القديم ويحتطب في حطبه يقول :

هل عرفت الربيع أجلى أهله عنه فزالا^(٣)

فهذه قصيدة مدح لكنها اشتملت على كل خلال القصائد القديمة : من الوقوف على الأطلال - ذكر الربيع، وأهله ، لقد كان الشاعر يهوى قاطنيه - حدد مكانه منطقة "شرورى" الجبلية، ثم تحدث عن استحالة المكان أثرًا بعد عين بفعل الرياح، وأفاض في وصف رحلته ثم انتقل إلى مدح الممدوح، وإبداعه في إطار تليد ليس بغريب (ولم يكن ذلك غريبًا على

^١الديوان ص ٤٣٤.

^٢الديوان ص ٣٩٨.

^٣الديوان ٣٣٠.



مجلة قطاع كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها العدد [١٣]

شاعر وصف بأنه كان عالماً فقيهاً ، وكان أحفظ لأشعار القدماء
والمخضرمين وأوائل الإسلاميين المحدثين (١)

لكنه كان يميل للتجديد، فنفسه كانت تستطيه ، ويلزم التجويد
والتحسين ، وقد يلجأ إلى تبرير ذلك ومن هذه التبريرات

منزل خمارة بالأنبار

أحسن من منزل بذي قار

أحسن من أينق بأكوار (٢)

وشم ريحانة، ورجسة

^١ الشعر العباسي الرؤية والفن ، عز الدين إسماعيل ، ص ٣٤٩ ، دار المعارف مصر ،

١٩٨٠ .

^٢ الديوان ١٦٢ .



اللغة عند أبي نواس

اتسمت اللغة عند أبي نواس بسمات متعددة منها :

¹⁻ التنوع : تنوعت اللغة النواسية تنوعاً ملحوظاً ، وهذا راجع لتنوع مصادره ، واختلاف منابعه ، إذ فضلاً عن مكثه عند بني أسد ناهلاً من فصاحتهم غارقاً من سلامة لغتهم ؛ شغف بالعلوم الإسلامية واللغوية وطلبها من مظانها على اختلاف التخصصات (فتتلمذ على يد أبي عبيدة بن المثني ، عبد الواحد بن زياد ، أزهر السمان ، ويحيى الطعان ، وخلف الأحمر ⁽¹⁾ ، ولغته تفيض بمعجم لغوي مستمد من عدة علوم ، وهو في هذا مسائر ثقافة العصر الذي يمور بتيارات مختلطة ؛ إما طريفة ، وإما تليدة بشكل جذري أو بين ذلك سبيلاً ، وهو ما يفسر نهج الشاعر في نظمه إذ استخدام التليد والطريف ، ومزج بينهما ملامساً لغة الحياة اليومية ؛ وما يدور فيها من ألفاظ . وربما كان ذلك سبباً من أسباب شيوع إبداعه والتمثل به ، يقول د/ شوقي ضيف عن شخصية أبي نواس الذي تبدى إبداعه : " في اتجاهين : اتجاه يحافظ فيه على التقاليد الموضوعية دون أن يشتط في التجديد ، واتجاه يجدد فيه تجديداً واسعاً ، يجدد في معانيه وألفاظه ، ويمكن أن نسلك في الاتجاه الأول مدائحه

أمراء الشعر العربي في العصر العباسي ، أنيس المقديسي ، ص ٨ ، المطبعة

الأمريكانية ، ط ٢ ١٩٣٦



وأراجيزه ، ومرائيه، بينما نسلك في الاتجاه الثاني أهاجيه وغزلياته
وخمرياتة وكل ما يتصل بعبثه ولهوه (١).

كانت أفاظه دولة ..عصرية حالية حيناً، وقديمة منتمية إلى إرثه
الثقافي اللغوي حيناً آخر (٢).

٢- التأثير بألفاظ المتكلمين : فقد تأثر بألفاظ المتكلمين وسيطر عليه
حتى في غزله فقد اعتنق " فكرة التولد " وهي " الفعل الذي ينشأ عن فعل آخر
دون قصد "

وَذَاتُ خَدِّ مَوْرِدٍ	فَتَاتَةٌ	الْمَتَجَرِّدِ
تَأْمَلُ النَّاسَ فِيهَا	مَحَاسِنًا	لَيْسَ تَنْفَدُ
الْحَسَنُ فِي كُلِّ جِزْءٍ	مِنْهَا	مَعَادُ مَرْدٍ
فَبَعْضُهُ فِي انْتِهَاءِ	وَبَعْضُهُ	يَتَوَلَّدُ (٣)

وقد ارتبطت الفحولة في هذا " بمدى حصيلة الشاعر من هذه العناصر
ومدى قدرته على استخدامها وتحريكها في شعره (٤)

^١العصر العباسي الأول ص ٢٢٧.

^٢وسأكتفى بذكر مثال لهذا وآخر لذاك لكي لا يكون هناك تكرار فمن الجديد

فخذها إن أردتَ لذيذ عيشٍ ولا تعذل خليلي في الحرام

فإن قالوا : حرام . قل حرامٌ ولكن اللذائذ في الحرام =

= ومن أشعاره التي يحتذى فيها حذو القدامى - الديوان ص ١ :

ذكر الصبوح بسُحرة فارتاحا وأملهُ ديك الصباح صياحاً -

^٣الديوان ٢٣٢.

^٤الوصف في الشعر العباسي، ص ٤٣٢.



- وقد أخذ على أبي نواس تساهل لغوي قارب اللحن ، إذ أجاز لنفسه ما أجاز سابقوه لأنفسهم من الضرورات كالشواذ ، فهو متبع لا مبتدع ، وقد حرص على التوفيق بين البناء الصرفي ، والعمودي ، والإطار الشكلي ، والمضمون والتجربة.

٢- التوازن بين الجديد والقديم : وازن أبو نواس في استخدامه اللغوي بين الجديد والقديم ، فإذا ما طرق الأغراض القديمة، استخدم اللغة التليدة ، بتعبيراتها ، وطرائقها في الأداء ، فهو يختار اللفظ الجزل ، والعبارة القاطعة الدلالة ، وحين يعبر عن الجديد وما يحيط به من مظاهر مستحدثه، يتخلص من ربة القديم، ويتطلع إلى الحديث عن المحاط به - كما في حديثه عن الخمر والنساء . " مسخرًا كل طاقته في سبيل تصوير الواقع مستوحياً من أجوائه صوراً، ومعانى ، وأوزاناً، تعبر عن النقلة الحضارية والفكرية التي عاشها القرن الثاني الهجري " (١)

فلغة أبي نواس لا تعكس ثقافته المنوعة المائلة لإلباس كل معنى ثوبه التعبيري المناسب فقط ، بل كثيراً ما تصبح قطعه الشعرية لقطة تصويرية تسجيلية إبداعية لأحوال يحياها، وينغمس فيها مترفو المجتمع العباسي ، وتسيطر عليه اللغة السهلة البسيطة، يقول في وصف مغنية واصفاً جمالها(٢)

^١ التطور الفني في شكل القصيدة وموضوعاتها في القرن الثاني الهجري ، أحلام الزعيم

٢٣٣، رسالة ماجستير ج عين شمس، ١٩٧٧.

^٢ الديوان ص ٤٢٩.



طفلة خـود رداح هـام قلبـي بهـواها
قدَّها أحسن قدَّ فاسألوا من قد رآها
ما براها الله إلا فتنة حين براها
تنثر الدرُّ إذا غدت علينا شفتاها
وأرى للعود زهواً حين تحويه يداها
ربما أغضبت عنها بصرى خوف سنانها
هى همى ومنائى ليتنى كنت مناها

فكلمات الأبيات على سلاستها ولامستها للغة الحياة اليومية، متناسبة مع جوه النفسي الذى يعكس الانشراح والبهجة، ويناسب المتلقين المدركين في الجلسة؛ فقد يكونون في حالة ذهنية غير واعية، فتحول دون تفهم العبارات المركبة الدلالة. بينما يستوعبون المنظوم البسيط.

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب
إن بكى يحق له ليس ما به لعب
تضحكين لاهية والمحـب ينتـحب
تعجبين من سقى صحتي هى العجب
كلما انقضى سبب منك عاد لي سبب^(١)

وبينما نرى في تلك القطعة السهولة واليسر: نرى قطعة غزلية أخرى تتسم بجزيل اللفظ، وفخيم العبارة، وإشراق الصورة الشعرية كقوله:



أُتُزِفَ دَمْعِي طُولَ تَسْكَابِهِ وَاخْتَصَنِي الْحُبُّ بِأَتْعَابِهِ
وَأَغْرَقْتَ قَلْبِي بِحَارِ الْهَوَى مِمَّا بِهِ مِنْ طَوْلِ أَوْصَابِهِ
وَاخْتَصَنِي الْحُبُّ حَلِيفًا لَهُ بُورِكَ فِي الْحُبِّ وَأَسْبَابِهِ
أَقْبَلَ يَسْعَى فِي الدُّجَى مَقْبَلًا كَالْبَدْرِ يَمْشِي بَيْنَ أَتْرَابِهِ
فَبَاتَ يَسْتَقِينِي جَنَى رَيْقِهِ يَمْزِجُهُ لِي بَرْدَ أَنْيَابِهِ^(١)



الموسيقى

هناك علاقة بين الغناء وأوزان الشعر، إذ هدف العباسيون إلى الأوزان القصيرة وعندما استخدموا الأوزان الطويلة أدخلوا فيها زخافات وعللاً؛ ملأتها بالنغم والإيقاع المتناسب مع الغناء فلكل معنى وزن أكثر ملاءمة له من غيره متناسب مع إحياءاته وما كمن فيه من معنى — " ... فالطويل يتسع لكثير من المعاني وإكمالها فلذلك يكثر في الفخر، والحماسة، والوصف، والتاريخ.... والبسيط يقرب من الطويل وإن كان لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني، ولا يلين لينه، للتصرف بالتركيب مع تساوي أجزاء البحرين، ولكنه يفوقه رقة، وجزالة؛ ولهذا قل في الجاهلية وكثر في شعر المولدين، والكامل أم الأبحر السباعية: يصلح لأكثر الموضوعات، وهو أقرب إلى الرقة، وإذا دخله الحذف وجاد نظمه بات مطرباً مرقصاً، وكانت به نبرة تهيج العاطفة، وهو كذلك إذا اجتمع فيه الحذف والإضمار، والوافر ألين البحور؛ يشتد إذا شددته ويرق إذا رققته، وأكثر ما يوجد به النظم في الفخر، وفيه تجود المراثي، والخفيف أخف البحور على الطبع، وأطلاها للسمع يشبه الوافر ليئناً ولكنه أكثر سهولة وأقرب انسجاماً، وإذا جاد نظمه رأيته سهلاً ممتعاً لقرب الكلام المنظوم فيه من القول المنثور، وليس في جميع بحور الشعر نظيره يصلح للتصرف بجميع المعاني، والرمل بحر الرقة، فيجود نظمه في الأحزان والأفراح والزهريات؛ ولهذا لعب به الأندلسيون كل ملعب وأخرجوا منه ضروب الموشحات، والسريع بحر يتدفق سلاسة وعذوبة، يحسن فيه الوصف وتمثيل العواطف الفياضة، والمتقارب بحر فيه رنة ونعمة مطربة على شدة مأنوسة، وهو أصلح للعنف والسير السريع، والمتدارك بحر يصلح لحركة، أو نعمة، أو زحف جيش، أو وقع



مطر، أوسلاح، والرجز ويسمونه حمار الشعر صالح لنظم العلوم ، فهو
أسهل البحور نظماً وأقلها ملاءمة لتصوير الانفعالات، وسائر البحور
القصيرة ، تصلح للأناشيد والتوشیحات الخفيفة (١)

فهذه البحور بما لحقها من زحاف وعلل ورد بكثرة في شعر أبي نواس سواء

أكان ذلك البحر في تكوينه الطبيعي ؛ أم بعد ما لحقه من زحافات وعلل .

الإيقاع السريع : من لمحات أبي نواس الجديدة خضوعه التام
لمقتضيات عصره في نظمه. إذ إن العصر عصر غناء وطرب؛ فلا بد أن
يتوافق النظم الشعري مع هذه المتطلبات الحديثة، ذلك " أن وجود قافية
مصرعة في داخل البيت والقافية متحدة في جميع الأبيات في القصيدة يعد
تجديداً في النظام الموسيقي للقصيدة العربية في القرن الثاني " (٢)

كما تجلى تجديده في إيجاده لقواف داخلية متحدة إضافة إلى القافية
الخارجية

" الموحدة الموجودة في أواخر الأبيات " (٣) - على حد قول
د/مصطفى هدارة - ومن أبياته في الخمر:

كدمع جفن كخمر عدن

بألف دن كشمس دجن

أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، ٣٢٣ - ٣٢٤ - ط٨ ، مكتبة النهضة المصرية
بالقاهرة ١٩٧٣ . والحذذ : تحويل متفاعلن إلى فعلن بتسكين العين ، والإضمار تحويلها
إلى فعلن .

٢ أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر ص١٨٤ .

٣ الشعر العربي في القرن الثامن الهجري ، د محمد مصطفى هدارة ٣٦٠ .





طبيخ شمس كلون ورُربيب فُرس حليف سجن

رأيت علجاً بباطر نُجا لها توجى ولم يشن
حتى تبدت وقد تصدت لنا وملت حول دن

فاحت بريح كريح شيخ

يوم صبوح وقيم دجن

يسيك ساق على اشتياق

إلى تلاق بماء مزن

يدير طرفاً يعيرُ حتفاً

إذا تكفى من التثنى^(١)

فقد لزم الشاعر ما لم يلزم من تقطيعات موحدة القوافي ، ونلاحظ الوحدة في التقطيعات الثلاثة الأولى، إذ التقسيم يستند لوحدة الإيقاع ويدعمها دعماً، فقد ساوى بين العبارات مما وفر موسيقى داخلية للنص .

" وإذا صحت نسبة هذه الأبيات لكان معنى ذلك أن شعراء القرن الثاني كانوا يستحدثون أنواعاً جديدة من الموسيقى الشعرية في إطار الأوزان القديمة خضوعاً لمقتضيات الغناء في ذلك العصر وتأثيره العميق في الأوزان والقوافي على السواء "^(٢)، ومن ذلك:

ذكر الصبوح بـسُرة فارتاحا

وأمله ديك الصباح صباحاً

أوفى على شغف الجدار بسُدفة

غرداً يُصفق بالجنجج جناحاً^(٣)

^١ديوان أبو نواس ٣٣٣.

^٢الشعر العربي في القرن الثاني الهجرى ٣٦١.

^٣ديوان أبي نواس ص١.



فهذه الحاءات تتقارب على قياس ، والراءات تتراءى في نسجه ، والثناء بعد الراء في " ارتاحًا "وقبلها في "سحرة"، وكلتا اللفظتين تتاليان ، وتتعاقدان بالخصائص ، ووسوسة السين بين صلصة الصادات تتجاوب في جنبات البيت يخفف من حدتها لين الحاءات، وهذه كلها تتألف وتكون في مجموعها ما يشبه النغم العذب الهادئ يطلع عليك مع الصباح، وترافقه تلك الصورة الرائعة لديك وقد أوفى في ظلام السحر على شرف من جدار ، طربًا يصيح مصفقاً بجناحيه فرحاً غردًا يستقبل الصباح وما أجمل تكريره هنا في قوله : يصفق بالجناح جناحاً^(١) فأيقاعه الموسيقي منظم وطريف ودائماً، و هناك تناسب بين المعاني والموسيقى ، والأوزان والشكل.

" وإذا أردنا تتبع الصنيع الفني عند أبي نواس ، من حيث رشاقة الأوزان ، ولباقة التعابير ، واهتزاز التقطيعات والتقسيمات ، لوجدنا الأدلة على ذلك كثيرة لهذا نكتفي بالإشارة ، في هذا المجال ، إلى مقطوعات ثلاث نراها خير مثال لجمال الواقع عند الشاعر " :^(٢) وفي تصويره الحبيب وطلاء منظره .

اسقنيها بسواد قبل تغريد المنادى

من كميت بلغت في الد ن أقصى مُستزاد

رضعت والدهر ثدياً وتلتته في الولاد

فهي فيهما كل ما يبئخ مقروح الفواد

^١ تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري، ص ٤٣٦، نجيب محمد البهيتي ط

٣ مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٧.

^٢ شعر اللهو والخمرجورج غريب ص ١٨٨.



سُمَّتْهَا عِنْدَ يَهُودِيٍّ خَصِيبَ الْمَسْتَرَادِ^(١)

ويستمر في وصف الخمر حتى يقول:

ثُمَّ لَمَّا مَزَجُوهَا وَثَبَتْ وَثَبَ الْجَرَادُ
ثُمَّ لَمَّا شَرِبُوهَا أَخَذَتْ أَخَذَ الرِّقَادُ^(٢)

وفي قطعته الثانية نجد اختلافاً بيناً في الصياغة والألفاظ يقول:

اسْقِنِي وَاللَّيْلِ دَاجٍ قَبْلَ أَصْوَاتِ الدَّجَاجِ
اسْقِنِي صَهْبَاءَ صِرْفًا لَمْ تَدْنَسْ بِمِزَاجِ
نَحْلِبُ الرَّاحِ صُرَاهَا فِي أَبَارِيقِ الزَّجَاجِ
وَعِزَالٍ مِنْ بَنِي الْأَصْبَغِ فَرٍ مَعْصُوبِ بَتَاجِ
شَخْصُهُ مِنِّي بَعِيدٌ وَهَوَاهُ كَالْمُنَاجِي
يَا أَبَا الْقَاسِمِ صَبْرًا كَلَّ هَمٌّ لَا نَفْرَاجَ^(٣)

وفي المقطوعة الثالثة :

بَاكِرَ الْيَوْمِ الصُّبُوحَا وَعَاصِ فِي الْخَمْرِ النَّصُوحَا
وَاسْقِنِيهَا مِنْ عَقَارٍ عَهَدْتُ فِي الْفَلَكَ نَوْحَا
قَهْوَةٌ تُفْرِنُ فِي جَسْمِ لَكَ مَعَ رُوحِكَ رَوْحَا
فَإِذَا صَادَفْتَ مِنْهَا نَفْحَةً خَلَّتْ نَضُوحَا
ثُمَّ لَا يَرْكَبُ مِنْهَا مَرْكَبًا إِلَّا جَمُوحَا^(٤)

^١الديوان ١١١ ، ١١٢ .

^٢الديوان ١١٢ .

^٣المرجع السابق ٥٨ .

^٤السابق ص ٦٨٤ .



والقطعة من بحر الرمل ، وضربه ما بين مجزوء وصحيح ، وروى
مميز وجمعت القطعة الشعرية ، لفظاً منغماً ومعنى طَرِبًا. إضافة لطرافة
الموضوع وخفته ، مما يؤكد حرص أبي نواس على مراعاة التناسب بين
الموضوع، ولفظه، وإيحاءاته. فهذه المنتخبات دالة على أن الموسيقى
تنساب من فيه الممتلئ باللذة الحسية ، والإمتاع الفني عاكسةً اقتدارًا
وتمكنًا، فقد كان ضارب عود مجيد أو يستتطق العود في مجونه.

وحيثما تزهّد؛ نجد أن حسه الشعوري المتدفق؛ أَلجأه إلى بحر البسيط
الذي سُمي بهذا الاسم لانبساط الأسباب في أول أجزاءه السباعية (١)
وهو بحر يتسم بـ" اتساع أفقه وامتداد رقته وجمال إيقاعه " (٢) ونغم
البحر وإيقاعه لاقت للأذن حتى قيل عنه: إن للبسيط سبابة وطلاوة " - (٣)
فانسيابية تفاعل البسيط ، وتواليها المنغم ، يتوافق مع البوح الإنساني تدفقًا
وتواليًا ، وعندما تزهّد أبو نواس قال حامدًا :

تجربة الناس عن الناس	الحمد لله ! ألم ينهني
أذلني للناس إفلاسي	فأمنع النفس هواها ، فقد
حتى خرا الدهر على راسي (٤)	سكت الدهر وأحداثه

^١ في علمي العروض والقافية أمين على السيد، ط. دار المعارف ٣ط.
^٢ العروض . تهذيبه وإعادة تدوينه ، الشيخ جلال الحنفي ص ١٦٤ مطبعة المعاني
الجمهورية.

^٣ منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء حازم القرطباني ص ٢٦٩، ت، محمد الحبيب بن
الخوجة.

^٤ الديوان ص ٢٤٤.



نتائج البحث

تطورت القصائد في العصر العباسي؛ وذلك لارتباط الإبداع بالواقع المعيش ومستجداته ومسايرة الشعر للواقع، ونمو النزعة الذاتية عند الشعراء ، إزاء الشعبية، وخفوت الأسواق الأدبية وجمهورها المنتصر لانتهاج نهج القدامى، وتوهج المبدعين الجدد محاولين استرداد المجد البائد؛ من خلال ترسيخ تغيير المجتمع وإضعاف القيم ليسهل السيطرة عليه وقيادته. وقد بدأ بشار ذلك ، ثم انضوى تحت رايته معمماً ذلك الاتجاه شاعر متمكن - أبو نواس - الذى امتلك القدرة على التعبير فى النهج القديم ، والإبداع الجديد، مما أضفى على نتاجه ثقلاً فنياً ، وموضوعياً ، وأدبياً لافتاً.

إذ امتلك الشاعر نفساً ثورية قلقة ، يتضخم عندها الإحساس الذاتى ، ولجأت إلى نزع إعجاب الآخرين ؛ فعمد إلى طريق حَزَن وملاه إبداعاً ، لم تغب عنه أصالة الطبع ، فقد حفظ وقرأ ثم أبدع ، مستخدماً أحسن التعابير " هذا الذى جمع له الكلام فاختر أحسنه"^(١)، وقد اتسمت ثنائيتيه بالصدق الواقعي، فقد كانتا قطعة من مجتمعه ، أثبت فيهما ما يمور فيه من أفكار، واتجاهات متداولة بين المنتديات ، وقيل: إن كثيراً من شعره فى الخمر منحول عليه .

رغب الشعراء في معايشة الواقع ثم التعبير عنه؛ ورغبوا عن الهروب للماضى والحديث عن ملامحه المعروفة ، واستنقبوا الحديث عن الأثرالذاهب، والعين مائلة يضح بعبق أريجها المكان، والصفة المميزة في ثنائية المجون والتوبة عند أبي نواس الطرب النظمي، فقد أبدع في زهده

أخبار أبي نواس ، ابن منظور، ط الاعتماد، مصر ١٩٢٤ .



كإبداعه في مجونه، وإن كان ذلك أوضح في مجونه؛ نظرًا لغزارة إنتاجه في المجون، وسلوكه مسالك متعددة لتحقيق هدفه من التقلت من ضوابط وقوانين المجتمع، وزواجر ونواهي الدين، أما التوبة فتكئ على الندم، والاستغفار، والأمل في العفو، وقد امتازت صناعته البيانية بالميزة الطبيعية فيخرج النظم منه متوافقًا مع الطبع، فينسب فيأذن المتلقي بأريحية بعيدة عن الجفوة والتصنع، ومما يميز شعر أبي نواس

" صفة في الأسلوب ناشئة من طرب الفنان بفنه، فهي صفة تنتقل من النفس إلى اللفظ وإلى أية أداة أخرى، إذا كان الفن غير فن الشعر وهي صفة تدرك أكثر مما توصف، وتراها في كل باب من أبواب الشعر، حتى باب الزهد فإن للفنان أيضًا طربًا بالزهد كطربه باللهو (١)."

ونلاحظ أن تجديده كان ملتزمًا لحد كبير، فهو لم يتقلت كليةً من الضوابط والمعايير التليدة، بل أبدع الجديد مستظلًا بظلالها لفظًا وصورةً وتراكيب.

وتصرف في إطارها، بإضافات لم تخرج إبداعه من التزام معظم ضوابطها.

وقصائد أبي نواس الماجنة - في الخمر - اتسمت بالوحدة الموضوعية المستوفية الأجزاء، فوصف الخمرة والكؤوس، ووصف الندامى والخمارين، والسقاة والمجلس بما حوى، كل ذلك يعتبر في عرف الأدب غرضًا واحدًا، ومنهجه المحتذى إذ خالف المواضع الأدبية والنقدية من وحدة البيت، والهروب من التكامل أو الارتباط بين البيتين فربط القصيدة كلها، وصارت

١دراسات في الشعر العربي، عبد الرحمن شكرى، - الدار المصرية اللبنانية- ص ٣٥.



الأبيات تشكل جزئيات تسهم في تكوين الشكل الكلي حيث تنتشظى فيها الفكرة ، ولم يسكب الفكرة بكثافة في بيت واحد ويكتفى بذلك كإرثه الثقافي. قصائد أبي نواس قصيرة وقلما تطول له قصيدة طويلة كقصيدته:

مالي والمعاذلات زوقن لى ترهات^(١)

وثنائية الإبداع لديه زهدًا وتوبة؛ تغاير سمتها تبعًا لتغير الموضوعات المُعبر عنها ، ولم تختلف سمات شعره في الزهد عن سماتها في المجون من ناحية البناء الفني إلا يسيرًا، هذا وقد تفاوتت العاطفة في شعره بين الحدة والرقّة ، والعنف واللين ، والتوهج والبهتان ، في نظم ثنائيتيه ، لكن صحبهما فيكل الانفعال العاطفي، وحدة الشعور ، فشعوره جارفتُ ماجنًا أو تائبًا ، وهذا يعد صدقًا للصدق الفني لديه. إذ يلتحم الشعور الفني مع النمط التعبيري؛ لذا تتوع إنتاج أبي نواس ، في ثنائيتيه يستخدم صورًا قديمة لكنها تعكس مكنون ذاته، وما انطوت عليه حناياه يقول :

لو ترى الشرب حولها من بعيد قلت قوم من قرة يصطلونها^(٢)

فالصورة قديمة بدوية، لكن الاستدفاء والاصطلاء لا يرتبط بعصر قدر ارتباطه بحس، وهو ما شعر به أبو نواس فأجاد التعبير عنه. وقد سجل أبو نواس مراحل حياته التي انعكست على حسه وشعوره ثم تبنت في إبداعه فهو القائل:

^١الديوان ٣٦٧.

^٢المرجع السابق ٣٣٩.



قولا لإبراهيم قولا هترا غلبتني زندقة وكفراً^(١)

وهو القائل أيضاً:

لا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليك يغيب^(٢)

وشعر أبي نواس مرآة صافية لما اعتمل في ذاته ، مجوناً ، أو توبة ، ، بل إنه في إبداعه أطاع هواه ومسلكه ولازمه .. استواءً وانحرافاً .. فإذا توجهت حالته النفسية المتوهجة نحو أنثى .. أبدع ، وإذا ما كانت رغبته مالت إلى ذكر .. أجاد في التعبير ، وإذ تطلع إلى كاس رَغَبِ المتلقين في اقتناصه ، والعاطفة في شعره الماجن متذبذبة، مرتبطة بحدة أو لين ، يمثل الموقف لذاته فشعوره - كعارية مستردة - أو مشخصة معروضة على الآخر ، ويقدر تجسيد هذا الآخر لذلك الموقف عنده يكون الإبداع ... بريقاً أو إنطفاءً ، وهذا الازدواج العاطفي ، يرجع لترسبات قديمة فرضت عليه خلقياً وبيئياً ، وسياسياً ، وصادفت هوى نفسه ، و ما أشيع عن فسق أبي نواس ومجونه - الذي أسهم في إشاعة تلك الفكرة بأفعاله المعلنة - ما هو إلا استجابة لنزاع ذاتي لديه من حب الشهرة، ومخالفة الأعراف السائدة ، سواء أكان ذلك في اللفظ المؤدى أم المعنى المؤدى.

^١الديوان ص ٥٣٠ والهتر - بالكسر - السقط من الكلام والخطأ فيه . اللسان مادة (هتر).

^٢الديوان ٦٣.



مصادر البحث ومراجعته

- أبونواس الحسن بن هانئ - عباس محمود العقاد - دار نهضة مصر بت
- أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر د. العربي حسن درويش
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧
- اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري مصطفى هدارة دار المعارف ١٩٦٣-
- اتجاهات النقد العربي القديم للشعر حسن أحمد البنداري - رسالة دكتوراه ١٩٨٥ - إشراف د محمود الربيعي دار العلوم
- أصول النقد الأدبي أحمد الشايب نهضة مصر - ١٩٧٣
- أمراء الشعر العربي في العصر العباسي - أنيس المقديسي المطبعة ١٩٣٦
- تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ط ٣ مكتبة الخانجي ١٩٦٧
- التطور الفني في شكل القصيدة وموضوعاتها في القرن الثاني الهجري - أحلام الزعيم - رسالة ما جستير عين شمس ١٩٧٧
- ثورة الخمریات ثورة الزهدیات محمد الصادق عفيفی دار الفكر ط ١٩٧١
- حديث الأربعاء د طه حسين ط دار المعارف ١٩٥٨
- حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري د يوسف خليف - دار الكتاب العربي



دراسات في النثر الحديث، دحسام محمد علم ، دار بلال ط ١ -

٢٠١٧

ديوان أبي نواس - دار صادر بيروت ، ط ٢٠٠٩

ديوان الشعر العربي علي أحمد سعيد "أدونيس" منشورات

المكتبة العصرية ط ١ ١٩٦٤

الشعر الجاهلي د محمد النويهي الدار القومية للطباعة والنشر د.

ت

شعر اللهو والخمر ، جورج غريب، الدراسات الأدبية المقارنة

١

الشعر العربي الرؤية والفن، عز الدين إسماعيل، دار المعارف

ب-ت

ضحى الإسلام أحمد أمين الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٧

العروض . تهذيبه وإعادة تدوينه ، الشيخ جلال الحنفي مطبعة

المعاني الجمهورية ، وزارة المعارف ١٩٨٨

فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، إيليا الحاوي بيروت

١٩٦٠

في الشعر العباسي، عز الدين إسماعيل ، دار المعارف ، ب-

ت

في علمي العروض والقافية ، أمين علي السيد، ط ٣ دار

المعارف،



مجلة قطاى كليات اللغة العربية والشعب المناظرة لها العدد [١٢]

قضايا النقد والبلاغة ، د محمد زكي العشماوى، دار الكتاب
العربي للطباعة والنشر ١٩٦٧
مناهج البلغاء وسراج الأدياء حازم القرطجاني ت محمد الحبيب
بن الخوجة

الوصف في الشعر العباسى إلى دخول السلاجقة بغداد أحمد
أمين مصطفى ، رسالة ماجستير ، إشراف د أحمد الحوفى
١٩٦٨ دار العلوم

النقد النفسى د محمد طه عصر دار ناس للطباعة والنشر ٢٠٠٠



محتويات البحث

المقدمة

مصطلحات البحث (ثنائية المجون والتوبة)

التمهيد أبو نواس

الفصل الأول: تجربته الإبداعية بين المجون والتوبة

الفصل الثاني: توبة أبي نواس

الفصل الثالث: الصورة الشعرية في الثنائية

الفصل الرابع: التجديد ومظاهره في ثنائية أبي نواس

ملخص البحث (باللغة الإنجليزية - العربية)

خاتمة البحث وأهم النتائج

أهم المراجع

محتويات البحث